محمد مهدي الجواهري

بريد العودة



محمد مهدي الجواهري

بريد العودة ...

مطبعة المعارف ـ بغداد
١٩٦٩



(بريشة الفنان رافع الناصري)

فهرست

القصيدة	صفحة
كلمـــة	٩
أرح ركابك ..	١١
الفداء .. والدم	٤١
رسالة مملحة ...	٦٩
يابن الفراتين ...	٩٧
يا دجلة الخير ...	١٣١
براغ ...	١٧١
بريد الغربة ...	١٨١

كلمة

لتداعي الافكار ، وتلازمها أثر حاد وفعال فى انجاز كثير من الاعمال التى يكون القائمون بها بعيدين كل البعد عن توقع انجازهـا ، فضـلا عن تحقق هذهالانجازات • وهذا ما حدث لي بالفعل ، وانا أدفع بهذا الديوان الجديد « بريد العودة » الى أسنان المطبعة وأمشاطها •

فمنذ عودتي من « البراغ » المغترب المفضال الذي عشته نيفا وسبعة أعوام ، ومنذ ان استهللت تعاطي القوافي على أديم الوطن من جديد ، كانت قصيدة « الفداء •• والدم » ، أول عطاء شعري •

وقرأت فى اليوم التالي فى احدى الصحف العراقية اقتراحا لصديق أديب يرتأى فيه أن تلقى هذه القصيدة بصوتي ، وعلى طريقتي فى الالقاء زيادة فى توضيحها ، وفى تقريبها الى الاذهان •

وكان هذا فكرة ، سرعان ما انشدت بها فكره :

لو طبعت القصيدة هذه لوحدها مشكولة ، واضحة الحروف ، وافية الشروح • وكان ان تحدد فى زحمة هذه الافكار موعد الحفل التكريمي الذى أقيم لي فى بغداد فتحددت معه قصيدة جديدة ، هى قصيدة «ارح ركابك••» وبذلك توسع حجم الفكرة ، وحجم « الدويوين » من جديد •

وباشرت بالعمل ، وراجعت « مطبعة المعارف » •

وتحدد موعد تقديم القصيدتين ، وشرحهما ، فأعجلني عن ذلك سفر جديد ، ومرت شهور عدة ، كان من جرائها أن تنضم الى القصيدتين قصيدتان ليصبحا أربعة ، وهما :

قصيدة « رسالة مملحة •• من مشارب « سلوفينسكي دوم » الى السيد عماش »

وقصيدة « يابن الفراتين » فى مؤتمر الادباء التاسع •

وعندما كنت على بعد العيوق من فكرة اخراج هذه القصائد ، مضافاً اليها قصيدة ، « يا دجلة الخير » ، وقصيدة « براغ » ، وقصيدة « بريد الغربة » ، وذلك لخلو أيدي الجمهور العراقي منها أولا ، ولقربها وهى فى « بريد الغربة » •• من « بريد العودة » هذا ، وجدتني محمولا على جناحين من تشجيع قوي ، ومعاونة حميدة من صديقيَّ الاديبين « رشيد بكتاش » و « عبدالغني الخليلي » ونازلا على حكمهما مشكورين ، محمودين ••

وانني اذ اقدر أكثر من أي أحد مدى التعب والجهد فى اخراج الشعر ، وفى تحمل أمزجة الشعراء ، لاشكر من صميم قلبي الافاضل أصحاب مطبعة المعارف ، والفنان العراقي الموهوب « ضياء العزاوي » ، الذي صمم الغلاف ، والخطاط الفنان « غالب صبري » ، الذي خط عناوين القصائد ، وأشكر معهما كل من رتب حرفا ، وأدار عجلة طبع •• ومن الله حسن التوفيق •

محمد مهدي الجواهري

أرح ركابك ...

القاها فى الحفل التكريمي الذي أقامته له وزارة الثقافة والاعلام فى « كازينو صدر القناة » ببغداد على أثر عودته الى العراق من منفاه بعد غياب طال أكثر من سبع سنوات .

وقد ساهم فى الحفل على الصعيدين الرسمي ، والشعبي عدد وفير من الخطباء والشعراء ، وقد استهله السيد وزير الثقافة والاعلام ، الاستاذ عبدالله سلوم السامرائي ، كما ألقى فيه الفريق أول الركن صالح مهدي عماش نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية قصيدة جارى فيها قصيدة السيد الجواهري ، وكان مطلعها :

أرح ركابك من أين ومن عثر ... هيهات مالك بعد اليوم من سفر

وكان ذلك فى مساء الجمعة الثالث من شهر كانون الثاني عام ١٩٦٩ .

أرِحْ ركابَكَ من أينٍ ومن عثَرِ
كفاكَ جيلانِ محمولاً على خطرِ[1]
كفاكَ موحشُ دربٍ رُحتَ تقطعه
كأنَّ مغبرَّه ليلٌ بلا سحرِ[2]
ويا أخا الطير في وردٍ وفي صدرِ
في كلِّ يومٍ له عشٌ على شجرِ[3]

---

(١) الاين : التعب والاعياء ، والعثر والعثار واحد ، والجيل هو فى الاصل الطبقة من الناس تنشأ بعد الاخرى ، ثم اصطلح على تقديره بخمسة وعشرين عاما ، وكأنما اريد بذلك المدة من العمر تتم بها ملامح الطبقة ، ونضوجها . وتهيؤ الطبقة الثانية بعدها للنشوء والتكامل ، والشاعر يريد بالجيلين هنا الخمسين عاما التى سلخها من حياته فى ميادين الشعر والادب ، وفى مجالات الفكر ، وفى غمار السياسة ومجاهل الحياة ومعاناة المجتمع وما تتمخض عنها محلها من أخطار ومتاعب .

(٢) المغبر : الشديد الغبرة ، والغبار فى الاصل التراب ، ومنه الغبراء للارض ثم استعير على سبيل المجاز لما يكدر صفو الحياة تشبيها له بما يكدر الغبار المثار من صفاء الجو ، ومن هذا القبيل اريد به في هذا البيت من مقارنة مراحل الحياة الشاقة بالدروب الموحشة المغبرة، ثم تشبيه هذه الدروب نفسها بالليالي المظلمة البعيدة الغور .

(٣) الورد هو أن ترد مجاري المياه لتشرب منها ، والصدر هو أن تصدر عنها بعد ذلك والشاعر يشبه هنا نفسه بالطير الذى يكثر غشيان مساقط المياه المختلفة ثم يصد عنها ، والذى يألف أعشاشاً جمَّة على أشجار عدة .

عريانَ يحمل منقاراً وأجنحةً

أخفُّ ما لمَّ من زادٍ أخو سفر[٤]

بحسب نفسكِ ما تعيا النفوسُ به

من فرط منطلَقٍ أو فرط منحَدر[٥]

اناشدٌ أنت حتفاً صنعُ منتحر

أم شابكٌ انت مغتراً يدَ القدر

أم راكبٌ متنَ نكباءٍ مطوَّحةٍ

ترى بديلاً بها عن ناعم السرُر[٦]

---

(٤) فى هذا البيت يستعير الشاعر شبيها آخر بالطير الذي يتخفف فى طيرانه من كل ثقل وكل حمل مكتفيا بمنقاره وجناحيه ، مما كنى عنه بأنه : أخف زاد لم لنفسه اخو سفر ، والقصد ظاهر وهو خلو الشاعر مما يثقل المتنعمين والبطرين من حطام الدنيا ٠

(٥) بحسبك الشيء : كفايتك منه ٠ وتعيا : تتعب أو تضيق ، والمراد بفرط الانطلاق وفرط الانحدار هنا هو الاشارة لما تتقاذف به الحياة الناس والشاعر واحد منهم بين الجدد والعثار والصعود والهبوط ٠ والنجح والفشل ٠

(٦) النكباء الريح المنحرفة أو المتراوحة بين ريحين ، الصبا والشمال مثلا ، وهى من نكب الرجل أو الشيء اذا انحرف أو تباعد عن الطريق، والمطوحة من المطاوح هى ما يطيح بالرجل أو بالشيء من أهوال ومقاذف وما يتوه به ، وهى هنا بخاصة الريح النكباء ٠

خفِّض جناحيكَ لا تهزأ بعاصفةٍ
طوى لها النسرُ كشحيه فلم يطر
ألفى له عبرةً في جؤجؤٍ خضبٍ
من غيره ، وجناحٍ منه منكسر(٧)

* * *

يا صورةَ الوطنِ المُهديك معرضُه
أشجى وأبهجَ ما فيه من الصور(٨)

---

(٧) الجؤجؤ : الصدر ، وجمعه جآجىء ، والقطعة ابتداء من ـ ويا اخا الطير ـ حتى هذا البيت منصبة كلها على تشبيه الشاعر نفسه بالطير في ورده وفي صدره ، وفي أن له ـ مثله ـ في كل يوم عشاً على الشجر ، وفي حمله أخف ما يلمه من زاد ، ثم في مناشدة الشاعر نفسه الطائرة أن يكتفي من حياته ، بما تضيق به حيوات الناس من فرط الانطلاق وفرط الانحدار ثم في مساءلته نفسه بنفسه عما اذا كان يريد بذلك الموت انتحاراً · أو انه وقد ركبه الغرور يريد أن يصارع الاقدار فيما يتحدى به الرياح العاتية · وأخيرا فهو يطلب اليها أن تخفف من غلوائها كما يخفض الطائر من جناحيه تجاه العواصف الجامحة وان لا تستخف ولا تهزأ بها وقد أطاحت بالنسور أي بما هو أكثر قوة ، وأشد قدرة عليها منه ، وان يكون كذلك النسر الذي ركن الى عشه فلم يطر في جو عاصف كانت له فيه عبرة منذرة بالجآجىء المخضبة ، من نسورقبله ، وبالاجنحة المتكسرة منها·

(٨) ليس في هذه القطعة من المفردات ما يحتاج الى توضيح ، وانما فيها صور متلازمة متلاحمة هي بحاجة الى القاء ضوء عليها ·

ان الشاعر يرى نفسه فيها صورة أصيلة من وطنه العراق بكل

غيومَه وانبلاجَ الشمس والقمر
وقيظَه وانثلاجَ الليل والسحر

ما يخلعه عليها الوطن من مفارقات ومغايرات وتناقضات في المجتمع ، وفي البيئة ، وفي الوراثة والتاريخ ، تماما كما تنعكس الصورة المرسومة — في اللوحة الاصيلة — بكل ظلالها وألوانها وأضوائها المتشابكة ، وانه يحمل في نفسه ما يحمله الوطن نفسه من ذلك .
ثم يفصل الشاعر تلك المفارقات من شجي ومبهج ومن مثير ومطمن ، ومن أمعان في الحر وفي البرد ، في الغيم وفي الصحو ، في تأصل روح الحقد فيما يثيره الدم القاني المراق على أديم الوطن من صحوة في هذه الروح ، ومن غفوة عن الحذر منها .

ثم فيما تموت — على أديم الوطن — وتقبر من عبقريات لا تمتد اليها يد العناية والرعاية ، ثم فيما يتوالى عليه بين الآونة والاخرى من تضحيات تذهب هدرا من جراء التفريط بها ، والاستهانة بضحاياها ، ومساومة المساومين المنافقين عليها ، وانتهاز النفعيين والمتربصين لها .

ثم يعود ليقول لنفسه عن نفسه على سبيل التجريد في المخاطبة .. انه صورة أمينة للوطن العراقي تنصب ملامحها ومعالمها ، على كل الملامح والمعالم التي تحدرت عبر الاجيال والقرون حتى هذا الجيل الراهن ، والتي تمازج فيها الخير والشر ، والحسن والقبيح ، والثورة والتطامن ، والحب والبغض ، والايثار والانانية والتضحيات وحب السلامة ، وانه — ولمحض انه صورة صادقة للوطن العراقي — فقد أعطى كنزا غريبا في تناقضات ما يحتويه ، وغرائب ما ينطوي عليه وهو لهذا السبب يجب أن يكون رقيبا على هذا الكنز حتى الممات أو أن يمحصه ، وان يغربله ، وان يحاول جاهدا التخلص عن نقائصه ، وان يطير فرارا منها ان استطاع ، قدر ما انه ملزم ليس بالانطواء على محاسنه حسب بل وبالزيادة فيها ، وهو الى هذا أو

وما يثير الدم الغافي بتربته
من صحوة الحقد ، أو من غفوة الحذر
والعبقريات لم تُنهَض ولم تُثر
والتضحيات توالى عن دم هدر
والناذرين نفوساً كلها ثمر
والناهزين لما يُجنى من الثمر
والزندقات وايمانَ التقاة وما
أجلت مذاهبُه عن زحمة الفكر
يا صورة الوطن انصبَّت معالمُها
على معالم ما أبقت يدُ العصر
تلاحَم الضوءُ فى عطرٍ وفى نغمٍ
منها أصيلٍ ، فلم تُنسخ ولم تُعر

ذاك ــ وعلى أى حال كان فيجب أن يكون فخورا بما خالط عظمه ودمه من خصائص التاريخ العربي ، وبخاصة فما كان منها فى تربة الوطن العراقى ، وشبه هذه الخصائص الصاعدة منها بالغرر ــ جمع غرة ــ فى الخيول الاصيلة ، وبالحجول ــ جمع حجل وهو موضع القيد من رجل الفرس ، وهما البياض يكون فى الجبهة ، وفى الارجل والأيدي من الأفراس أو فى بعضهما دون بعض .

أُعطيتَ أنفس كنزٍ من نقائضها
فكن رقيباً عليها غايةَ العمر
طِرْ ما استطعت مطاراً عن نقائصها
وعن مرافعها الجُلى فزد وطر
وكن فخوراً بما أُعطيت من دمه
على الحجولِ ، وفي الأوضاح والغُرر
فان تحدّاك من عليائه ملكٌ
يزهو عليك ، فقل انّي من البشر

* * *

يا سامرَ الحي بي شوقٌ يرمّضني
الى اللدِات ، الى النجوى ، الى السمر(٩)
يا سامر الحي بي داءٌ من الضجر
عاصاه حتى رنينُ الكأسِ والوتر

---

(٩) يرمضني : أى يحرقني ، وأصله من « الرمض » وهو شدة الحرارة ، ومنه الرمضاء وهي الارض الملتهبة لشدة حرارتها • و « اللدات » جمع « لدة » الخدن والترب •

لا أدعي سهرَ العشاق يشبعهم
يا سامر الحي بي جوعٌ الى السهر
يا سامر الحي حتى الهمُّ من دأبٍ
عليه آب الى ضربٍ من الخدر
خلافَ ما ابتدعت للخمرِ من صور
وجدتها زادَ عجلان ومنتظر
كأنَّ في الحبِ المرتجِّ مفترَقاً
من الطريق على ساهٍ ومدّكر
يا سامر الحيِ انَّ الدهرَ ذو عجب
أعيت مذاهبُه الجُلّى على الفكر
كأنّ نُعماءه حبلى بأبؤسه
من ساعة الصفو تأتي ساعة الكدر
تندسُّ في النشوات الحُمسِ عائذةً
هذي فتُدركها الاخرى على الأثر(١٠)

---

(١٠) الحمس : من حمس ومن « الحماسة » وهي القوة والشجاعة ، وتأتي بمعنى شدة الهيجان والفوران والبيت مرتبط بسابقه ومعناهما : أن نعمي الزمان وبؤساه تتوالد فيما بينهما ، وتتواصل حتى لكأن

يَنغّصُ العيشَ انَّ المـوت يـدركـه

فنحـن من ذيـنٍ بين الناب والظفـر

والعمـرُ كـالليـل نحييــه مغالطـةً

يُشكى من الطول أو يشكى من القصر

* * *

ويا صحـابى وللفصحى حـلاوتُهـــا

لا تنكـروا نـاقـلاً تمـراً الى هجـر(١١)

نعماءه حبلى بأبؤسه ، وحتى لكان ساعة الصفو تلد ساعة الكدر ، والحقيقة هي أن العكس صحيح أيضا ، ولكن الشاعر مثل بصورة واحدة منهما لانها تطابق الواقع المرير الذى يتحدث عنه ٠

وكما هو بيّن فالقطعة حتى البيت :

والعمـر كالليـل نحييـه مغالطـة

يشكى من الطول أو يشكى من القصر

انما تصور حدة القلق الذى استحوذ على الشاعر وهو في غربته ، وشدة الشوق الذى كان يعتصر نفسه الى « لداته » واترابه ، ورفاق صبـاه واخوانـه فى سوح الكفـاح ، وفى ميادين الحرف والكلمة ، وفى مجـالات الفكر والشعر والادب ، وان به شـوقا يحـرقـه الى سمرهم ، والى نجواهم ٠ وجوعا الى السهر واحياء الليالي معهم ٠ ثم انه ليشتد فى هذا التصور الى حد القول : ان الهم والقلق نفسيهما أصبحا ضربا من الخدر لكثرة الاعتياد عليهما ٠ وتكرر الالفة واياهما٠

(١١) هجر : بلدة فى اليمن يكثر فيها النخل واسم لبلاد البحرين أيضا ٠ ومنها المثل العربي القديم : كناقل التمر ـ أو « كمبضع التمر » الى

أنّى ثوى ذو طماحٍ فهو مغتربٌ

في دارة الشمس ، أو في هـالة القمر

سبع توهـمّتها سبعينَ لا كـدراً

لكن لحاجتهـا القصـوى الى الكـدر(١٢)

ناشـدتكم بعيـون الشعـرِ لا رمـداً

شكت ، ولم تكتحل يوما سوى الحوَرِ(١٣)

هجر ، وفى الشطر الاول من البيت تمهيد جميل للشطـر الثاني وذلك بجملة ـ وللفصحى حلاوتها ـ فالشاعر اذ يريد أن يعتـذر للمحتفين به وجلهم من جمهرة الادباء والشعراء فيما يتلو عليهم من شعره ، واذ هو يشبه ذلك بناقل التمر الى هجر لا يفوته أن يذكرهم بأن « للفصحى » بدورها حلاوة تبرر هذا التشبيه ·

(١٢) معنى البيت : ان النفوس الكبيرة ذوات المطامح البعيدة ، والآفاق الواسعة تحمل غربتها معها فى مطاوى نفوسها أينما كانت ، حتى وان كانت مواطن الاغتراب هذه تشبه دارات الشموس فى سعتها ، وامتدادها وهالات الاقمار فى جمالها ولطفها ·

لهذا البيت صلة مباشرة بالبيت السابق ـ قدر اتصاله بما يتلوه من أبيات ـ فهو يشير الى ان الشاعر كان يتوهم الاعوام السبعـة التى قضاها خارج وطنه وكانها سبعون عاما فى طولها عليه حبا منه فى مشاركته جماهير الشعب آلامهم وآمالهم ، وان ذلك كان منه لا لانه كان يشكو كدرا وانزعاجا ولكن حبا بالكدر والانزعاج ما داما قاسما مشتركا بينه وبين المواطنين ·

(١٣) فى هذا البيت يناشد الشاعر أصحابه ومستمعيه ويحلفهم بعيون الشعر وهى مختاراته وحسانه تشبيها لها بالعين أعز ما فى جسد

هل عندكم خبرٌ عن قرب ملتحـــمٍ
أو وشـك معتركٍ أو قربِ مشتجر
فـذاك والله عنـدي أصـدقُ الخبـــر
انّي أقـايض فيـه النفـعَ بالضـرر
كم أرصـد المـوتَ أدري أنه رصـدٌ
ان كان في المـوت من فخرٍ لمفتخـر
سبحـان ربّك ربّ المرء يخلقـــه
صلصالةً وهو من نـارٍ ومن شـرر(١٤)

الانسان ، وأكثرها نفعا ، ثم انه ليخلع عليها بالفعل أحسن صفات العين وهى صحتها وسلامتها وخلوها من «الرمد» ثم جمالها واتصافها بالحور ، تعبيرا عن لطافة هذه الاشعار · وقوتها وأهميتها ·

وفى البيتين التاليين جواب « التحليف » والمناشدة ، وهما والبيت السابق استمرار لابانة الشاعر عن حبه وولعه لمجالات الكفاح ، وميادين النضال المشترك ، وانه « يقايض » ويبادل النفع وهــو السلامة والخلاص بالضرر وهو تحمل المكاره والشدائد ·

و « المشتجر » هو فى الاصل حيث يلتف الشجر ، وتتكاثف الادواح، ثم استعير للمعارك والملاحم حيث تتشابك الرماح كما يتشابك الشجر بعضه مع البعض الآخر ·

(١٤) الصلصالة : من الصلصال ، وهو الطين الحر ، فاذا شوى فهــو الفخار فـاذا طبخ فهـو الخزف · وفى البيت اشارة ، وتعجب ، وتشكيك ، فهو يشير الى خلق الانسان من تراب ، ويتعجب من

أذنبُــه أنّــه لـو قِيـدَ محتفظـاً

الى النعيمِ تخطّـــاه الى سـقـرِ ؟(١٥)

* * *

ويـا مـلاعـبَ أتـرابـي بمنعَطـفٍ

من الفرات ، الى كـوفانَ فالجـــزر(١٦)

ان يكون هناك من الناس من يبدو بحكم عنف مزاجه ، وقوة شكيمته، وثورة دمه وكأنه خلق من نار ومن شرر ويشكك فى أى من هذين الخلقين شاء الخالق هذا النوع من الناس · وفى البيت كذلك تلميح خفي للآية القرآنية على لسان الشيطـان وهو يعـدّ من الملائكة ، مستصغرا شأن « آدم » : خلقتني من نار ، وخلقته من طين ·

(١٥) البيت اتمام للسابق وتعقيب عليـه : وهـو تبرئة لتلك النفوس الثائرة التى تبدو وكأنها تفضل النار والجحيم ، على الجنة والنعيـم فيما تحمل به نفسها طوعا وارتغابا على صعاب الامور ، ومخاطـر الحياة ·

(١٦) هذه القطعة حتى البيت :

اقتادهن الى حرب على الضجر فيصطلحن على حربي مع الضجر

استعراض وابتعاث لذكريات الشاعر فى طفولته ، وفى صباه وفى يفاعه فى مدارج «النجف» و «الحيرة» ومنعطفات الفرات وجزره وفي رملة « الكوفة » وملاعبها · وتذكر للصور الشاخصة منها والباهتة على حد سواء · ففيها خفق أشرعة السفن الراسية على ضفاف الفرات حيث كانت الأسر النجفية ـ ومنها اسرة الشاعر تنتقل الى « الجسر » وهي المدينة الجميلة الرابضة على شواطىء الفرات · والمسماة بهذا الاسم التاريخي الذى لمع ذكره على أثر المعركة الكبرى الحاسمة بين العرب

فالجسرُ عن جانبيه خفقْ أشرعةٍ

رفّافةٍ في أعالي الجوّ كالطرر

والفرس وهي معركة القادسية ٠ التي قطع فيها بسبب قطع «الجسر» هذا ـ خط الرجعة على جيوش الفرس المنهزمة وهي بصدد نجاتها الى الجانب الشرقي، جانب المدائن وما يتلوها ، وفيها من الصور أيضاً مساحب الخورنق ومجر ذيوله ، حيث يقوم الآن عليها بامتداد طويل ما يسمى بـ « الشواطىء » ٠ وابن ماء السماء هو النعمان ملك الحيرة وسواد العراق ، وكل الملوك « المناذرة » هم بنو ماء السماء نسبة الى امهم التى أطلق عليها هذا الوصف لفرط جمالها ٠

وفيها تعريج على شقائق النعمان التى ما تزال حتى اليوم تنتشر بكثرة فى وديان الحيرة ومساحبها منسوبة الى النعمان نفسه لفرط حبه اياها ولانه ـ فيما أجمع عليه المؤرخون ـ جاء الى موضع فى «الحيرة» وقد اعتم نبته من أصفر ، وأحمر وفيه من الشقائق ما راقه فقال : ما أحسن هذه الشقائق احموها وكان أول من حماها ، وفيها أيضا انتشاق لعبير الرملة الدمثاء اللينة على ضوء من القمر وعلى امتداد السهل المرمل الفياح بين النجف ، والكوفة ، والجسر ، والمدارج السمحاء بين السوح وبين الحجر فى أفنية الكوفة ومسجدها ، والسهلة ومسجدها، وحتى مستدق الحصى ورضاضه فى هذه المداحات والساحات ، وحتى مناخة النوق ، على وادي الغري حيث ينيخها جماعات البدو من «نجد» مدة تموّنهم من أسواق النجف وبيوتها ٠ وحيث كان الشاعر وهو صبيٌ بعد شغفٌ أن يصعد أسنمة النوق المنيخة ، وان ينهضها من مناختها ، وان يخاطر باثارتها للنهوض به على غير رغبة منها ٠ والمراد بالذكوات التلال الصغيرة شبهها بالجمرة الملتهبة لضيائها وتوقدها عند شروق الشمس عليها ٠ و «نجف» وهي هنا صفة عن « علم » كل مكان مستطيل وفى بطن واد لا يعلوه الماء أو كل أرض مستديرة مشرفة على ما حولها وكل ذلك ينطبق على أرض النجف

الى « الخورنـقِ » بـاقٍ في مساحبـه
من ابن مـاء السمـا ما جـرّ من ازر
تلـكم (شـقائقـه) لـم تأل ناشـرةً
نوافـج المسـك فضّتهـا يـد المطـر
بيضاءَ ، حمـراء أسـراباً يمـوج بهـا
ريشُ الطواويس • أو موشيّةَ الحِبر
لـلآن يُطـرب سـمعي في شـواطئـه
صدحُ الحمـام ، وثغيُ الشـاء والبقر
والرملةُ الدمثُ في ضوءٍ من القمـر
والمدرجُ السمح بين السُوحِ والحُجر
ومستـدقُ الحصى منهـا وما جمعت
مناخةُ النوقِ من بـدوٍ ومن حضـر
تعالت الذكـواتُ البيضُ عن نجفٍ
عالٍ ، كما ازدهت الألواح بالاطـر

ومعالمها وواقعها ، واشتفت امتصت والوابل الوسمي الغزير من أوائل مطر الربيع سمي بذلك لانه يسم الارض وينعشهـا من جديـد ، والطفوف الجانب من الارض ، والشاطىء والمنحدر منها ، وهو أيضا ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق •

واشتفَّت الوابلَ الوسميَّ وانحدرت
الى الطفوف بسيلٍ منه منحدر
مستشرفاتٍ صبا نجدٍ يُبلُّ بها
غليلُ رملٍ بوقد الشمس مستعر
يا أهنأ الساعِ في دنياي أجمعها
اذا عددتُ الهنيء الحلوَ من عمري
تصوَّبي من علٍ حتى اذا انحدرت
بي الحتوفُ لذاك الرمل فانحدري
تُمحى الغضاراتُ في الدنيا سوى شفقٍ
من الطفولة - عذبٍ مثلها - غضرِ
وتُستطار طيوفُ الذكريات سوى
طيفٍ من المهد - حتى اللحد - مدَّكر
في « جنَّة الخلد » طافت بي على الكبر
رؤيا شبابٍ ، وأحلامٍ من الصغر(١٧)

(١٧) فى هذه الابيات الاربعة من نهاية القطعة تصوير دقيق لمختلف الاحاسيس والمشاعر والذكريات التي كانت تعتمل فى نفس الشاعر وهو فى مغتربه بـ (براغ) وقد سماها « جنة الخلد » والتي كانت

مجنَّحـــاتٌ أحـــاسيسٍ وأخيلـــةٍ

مثلَ الفراشات في حقل الصِبا النضِرِ

أصطـادهنَّ بزعمي وهي لي شَـرَكٌ

يصطادني بالسنـا واللطـفِ والخفـرِ

اقتـادهـنَّ الى حـربٍ على الضجـرِ

فيصطلحنَ على حربي مـع الضجـــرِ

* * *

وأنـــتَ يـا مـارداً يَلقـى بهـامتـــه

هوجَ الرياحِ ، ورجلاه لظى سـقـرِ(١٨)

تثير فيه وقد بلغ الكبر اطياف ذكريات طفولته ، ورؤى صباه وأحلام شبابه . وان هذه الاحاسيس ، والاخيلة كانت ملونة مجنحة فى حقل الذكريات كما تلون الفراشات المجنحة في الحقول النضرة .

ثم يستطرد فيقول : انه كان يغالط نفسه عندما يخيل اليه انه هو الذى يصطاد هذه الفراشات ـ هذه الاخيلة والاحاسيس اذ يثيرها ويبتعثها ، بينا هى ـ فى الحقيقة ـ التى تصطاده بما تثير فيه من قلقٍ ، وألمٍ ، وحنينٍ .

وكذلك الامر فيما يتصوره من أنه يجهّز هذه الذكريات ويقتادها الى حربه مع الضجر والوحشة والغربة فاذا بها تصطلح معها ، وتلتئم واياها ، وتنسجم معها فيما تجدده فى نفس الشاعر من غصـة ، وفيما تعيد اليه من أصداء الماضي البعيد الحبيب .

(١٨) هذه القطعة حتى البيت :

يا ساحرَ النفس كالشيطان يا وطناً
يُهوى ويُصفى على الويلاتِ والغِيرِ
ويا حفيظاً على الزلاّت يرصدها
وبالذي يتجنّى جدّ مُغتفَر
ما إن تزال على ما ذقتُ من غصصٍ
لديك من صُلب حاجاتي ومن وطري
حملتُ همَّك في جنبيَّ أصهره
في لاعجٍ بوقيد الشوق منصهرِ

تبنت الدم من روحي ومن بدني
واستلت الضوء من ليلي ومن قمري

خطاب الى الوطن . ومناغاة له وقد شبهه بالمارد العملاق الذى يدفع العواصف والزوابع بهامته ، فى حين تستقر رجلاه على لظى سقر كناية عما يتحمله الوطن وما يتصدى له من عوادى الزمن ، وتقلبات الايام وتعاقب المحن . ويقول عنه انه ساحر يجذب النفس ويستهويها ، حتى انها تتسمر عليه ، وتتشد به هوى وحبا حتى وهو يجر عليها الويلات « والغير » والمصائب وانه يحفظ زلات «ابنه» المواطن ويحصيها ، اذ هو مغفور مسامح فى كل ما يتجنى . والابيات التالية حتى نهاية القطعة استمرارلهذه الفكرة . وتوضيحلمدى تعلق الشاعر بوطنه بالرغم من كل ما تحمله فيه من الم ، وضنك، وتغرب ، وانه يعود اليه الآن وقد قربت مسافة العمر من نهايتها ، وانه يسير فيه على تلك الدروب نفسها التى ما تزال دماء جراحه المنسابة عليها تنيرها وتبين اثرها .

وكنتَ نوري في ليلى وغربته
حتى كأن النجوم الزرقَ لم تُنرِ

عَودٌ اليك على بدءٍ وقد قربت
مسافةُ البدء من عود الى الحفر

عودٌ اليك بأقدام موطأةٍ
على دروبٍ جراحي فوقها أثري

تبنّتِ الدمَ من روحي ومن بدني
واستلت الضوءَ من ليلي ومن قمري

* * *

يا دجلةَ الخير ما هانت مطامحنا
كما وهِمنا ، ولم نُصدقكِ في الخبر(١٩)

---

(١٩) في هذه القطعة موردان ، المورد الاول مناجاة « لدجلة » بعد العودة من الغربة واستعادة لمناجاتها ومناغاتها عندما كان الشاعر في منفاه وغربته وذلك في معرض الاشارة الى أبيات عديدة من قصيدة « يا دجلة الخير » الشهيرة ·

وفي هذا المورد حتى البيت :

ولا ابتعثت لنا الاطياف عاوية
مثل الذئاب ولم تفزع الى جدر

ها قد أقلنا على سفحيكِ يؤنسنا
لوذ الحمائمِ بين الطين والنهر

تصوير للعودة وكأنها أمر غير متوقع وحلم لن يتحقق • ففي البيت الاول منها اشارة الى قوله في يا دجلة الخير :

يا دجلة الخير قد هانت مطامحنا
حتى لأدنى طماح غير مضمون
أتضمنين مقيلا لي سواسية
بين الحشائش أو بين الرياحين

وتلخيص الاشارة هو انه كان في الغربة يتمنى ان يضمن له مطمح هين زهيد هو أن يكون له مقيل على دجلة وان كان بين الحشائش الرفرافة عليها ، أما الآن وبعد العودة فانه ليعتذر عن ذلك بعد ان آوته دجلة من جديد باعتزاز وتكريم •

وفي البيت الثاني اشارة الى قوله من تلك القصيدة :

حييت سفحك ظمآنا الوذ به — لوذ الحمائم بين الماء والطين

والابيات التالية منهذا المورد الأول حتىآخره تعبير عن تلاعب الحياة بأبنائها وتراميها بهم وكأنهم «الاكر» المدحوة وسحقهم بينأسنانالرحى الدائرة بالبشائر آنا وبالنذر آنا •

وفي الابيات الثلاثة الاخيرة من هذا المورد اشارة الى قوله في « يا دجلة الخير » وهو يصور الكوابيس الخانقة في أطيافه الطائفة به في المنام من السنة الاولى من تغربه :

لو تعلمين بأطيافي ووحشتها — وددت مثلي لو ان النوم يجفوني
أجس يقظان أطرافي اعالجها — مما تحرفت من نومي باتون
واستريح الى «كوب» يطمئنني — ان ليس ما فيه من ماء بغسلين
وألمس الجدر الدكناء تخبرني — ان لست في مهمهٍ بالغيل مسكون

وفي موضع آخر من هذا الديوان ما يوضح هذا المورد من

وعانقتنا حسانُ « النخل » واصطفقت

جدائلُ السعف المُزهاة لا الشعر

قصيدة يا دجلة الخير في خلال شرحها ٠

ـ اما المورد الثاني من هذه القطعة فهو تنديد بالزمر التي تعاقبت على السلطة وعلى الحكم ابتداء من اوائل عام ١٩٦١ حتى أواسط عام ١٩٦٨ أي أكثر من سبعة أعوام وهي السنون التي قضي على السيد الجواهري أن يحياها بعيداً عن وطنه بالرغم من تبدل أحوال ، ومن تجدد رؤساء وزارات ، ورؤساء جمهوريات ، وتلويح بان الكف التي عصرته عصرت آخرين معه ، ولكن مدت اليها كف أقوى منها فعصرتها ولوت معصميها ، ثم أعادته وآخرين معه الى أوطانهم ٠ ويريد بذلك ثورة ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ والتي قام بها حزب البعث وتسلم اثر نجاحه فيها الحكم ٠

وفي هذا المورد يقول الشاعر ، ان هؤلاء المسلطين بالقوة على الشعب العراقي كانوا قد قذفوا به وبرهط كبير معه من أحرار العراق قذف الحصاة ، وان تلك الطغمة كانت وهي تحكم وتتصرف كما تشاء وبما يأباه الشعب العراقي انما تستمد القوة في مد طغيانها من « جزر » قوة الجماهير ، وهي لهذا السبب نفسه تنحسر وتزول ـ وقد زالت فعلا ـ عندما ازدادت قوة الجماهير وتنامى وعيها وأشتد « مدها » ٠

وفي الابيات التالية من هذا المورد تعريض بمصائر هؤلاء الحاكمين السادرين : وتشردهم هم الآخرين ، بارادة من الشعب العراقي ، ثم تذكير لهم بخورهم وتهافتهم وهم يواجهون مصائرهم ، وبصلابة الشاعر وصموده وشموخه وهو يواجه الاعوام السبعة من غربته وتشرده ٠

ويخرج من ذلك الى أن « مصائبهم ليست بكفو لأفراحه » أي أن البون الشاسع بين مصيرهم السيء الذي أحاق بهم لا يعادل فرحته هو وأفراح الشعب العراقي بعودته فهو لذلك في موكب نصر رائع ، ومثل هذا الموكب يأبى أن يقترن بالشماتة لانه أجل منها ٠

وأثلج النفسَ مِن ولهانَ مستعرٍ
وجداً، سقيطَ الندى من ريقكِ الخَصِرِ

يا دجلة الخير - والأيّامُ تسحقنا
بين البشائرِ نرجوهنَّ والنُذرِ

نخادع النفسَ بينا نحن في يدها
وبين أرجلها مدحوّةُ الأُكَرِ

تُمازج الخيرَ في شرٍ مموّهةً
ما كان منتظَراً في غير منتظَرِ

كان الذي لم نخله كائناً أبداً
حتى كأنَّ مصيراً حُمَّ لم يصرِ

حتى كأنّا مع الأطيار لم نطِرِ
الى رباكِ، وطيفاً منك لم يَسِرِ

ولا حلمنا بنارٍ منك تُحرقنا
في شاهقٍ بنديف الثلج معتمرِ

ولا ابتعثت لنا الأطياف عاويةً
مثلَ الذئابِ، ولم نفزع الى جُدرِ

يا « دجلة الخير » إنّ الغمّة اندثرت
جنباً الى جنب عهدٍ فات مندثر
يا «دجلة الخير» أنا بعضُ من عصرت
كفٌ لوى معصميها أيّ معتصر
قذفَ الحصاة رمتنا عنكِ جائحةٌ
نقيضَ جريكِ في مدٍّ وفي جزَر
تُلوى وتُحسر إذ تطغَين مدّتُها
وتستقيم بموجٍ منك منحسِر
عفنا لها ناطحاتِ الجوِّ فارعةً
ونازعتنا على ضَحيانَ مؤتجَر
أغرت بي السبعةَ الأعوامَ تحسبها
هوجَ العواصف تُستعدى على الشجر
لم تدر أنّ جذوري غيرُ خائسةٍ
كالجذر منها ، ولا عُودي بذي خَوَر
وشرّدتني كأن لم يجرِ منقلَبٌ
بالناس والفلكَ الدوّارَ لم يدُرِ

ليست بكفوٍ لافراحي مصائبُهم
يأبى الشماتةَ كفواً موكبُ الظفر
يا جازعينَ بأن غامت سماؤهم
وما يزالون في فَينانَ مزدهرِ
رأيتموا كيف هان الصبرُ عندكم
وكيف كان على اللأْواء مصطَبري
وكيف زُرَّت على الايمان مَدرعتي
وكيف تاه على ديباجكم وبري
يا «دجلةَ الخير» نحنُ الممتلين غنىً
بنا انعطافٌ على ملآن مفتقرِ
واللهِ لو أُوهبُ الدنيا بأجمعها
ما بعتُ عزّي بذلٍّ المترَفِ البطرِ
قالوا يظنُّون بي شيئاً من الصغَرِ
فقلت فيهم وبي شيءٌ من الصَعَر
رثيت للعقرب اللدغى جبلّتُها
لفرط ما حُمّلت سُمّاً على الأبر

لــولا مغبّــة مـا تجنــى ذنابتهــا

لقلت : رفقـاً بهـذا الزاحفِ القـذر

* * *

ويا سقاةَ الندى مـن كـل منسجمٍ

والأَريحيـاتِ ، معسولِ الثنا عطِـر(٢٠)

يـا صفـوةَ البلـدِ الزاهي بصفوتـه

ويـا أسـاريرَ وعـيٍ فيـه منتشِـر

ضممتـم المجـدَ من أطرافــه زُمـراً

تضفي عليَّ سنـاهـا صفوةُ الزمـر

---

(٢٠) فى هذه القطعة حتى البيت الاخير منها :

وقد يضيق بشكر المفضلين فم   حتى يغطي عليه علر معتــلر

تنويه بفضل المقيمين حفل التكريم هذا ، والمساهمين فيه ، **وبلطف** الآدباء والكتاب والشعراء الذين شاركوا فيه كل منهم بدوره • **وبما** سمحت به عواطفه الكريمة •

وفيه ، وهو يشبه الكلمات الخيرة والحروف النيرة **من الكلمات** والقصائد بالخمر المعتقة تدور بها الكؤوس الشفافة ، **اعتذار عن عدم** بلوغه ـ الشاعر ـ شأوهم ، وعن عجز الكاس التى يدير بها **حروفه من** أن تلحق بكؤوسهم المترعة ، المزدخرة ، أو أن يتساوى ما بها **من وشل** وما فى كؤوسهم من ملاء ، وغنى حتى الحافات •

من كلِّ لونٍ كريمٍ مشرق خضلٍ
كما تلون حسناً باقةُ الزهر

معتّقين سلافَ الحرف ناضجةً
نضجَ ابنة الكرْمِ فيه ابنةُ الغرد

عذراً لأكؤسكم كأسي بها وشلٌ
خجلانُ من مترع الحافات مزدخرِ

ما كنتُ بالعيِّ لجلاجاً بمجتمعٍ
ولا بهيّابةٍ في منطق حصِر

ولم يدع لي كرُّ الدهر من وطرٍ
ولا المحاذيرُ قد مارستُ من حذر

لكن وجدتُ جميلَ الصنع مبتكَراً
ما إن يوفّى بقولٍ غير مبتكر

وقد يضيق بشكر المفضلينَ فمٌ
حتى يغطي عليه عذرُ معتذر

* * *

ويا قوى الخيرِ كوني خيرَ صاريةٍ

يُوقى الغريقُ بها دوامةَ الخطر(٢)

نجوى خليصٍ هوىً ما انفك بينكم

خمسين عاماً ملاء السمع والبصر

لم يمشِ يوماً الى تجرٍ بمعترك

ولا تدرّب في حانوت متّجِر

لكن بصدر لنزف الجُرح محتملٍ

وصُلب متنٍ لحمل الغرم مدّخَر

---

(٢) فى هذه القطعة الاخيرة من القصيدة حتى بيت الختام :

وبالضحايا تلوب الحشرجات بها ... أن يغتدى دمها خمراً لمعتصر

اثارة لقوى الخير وطلائع النضال فى العراق أن تلم صفوفها ، وترصها وأن تكون بمثابة الصواري التى تحفظ للسفن توازنها ، وتقي من دوامة الخطر ومن الغرق فيها . وإهابة بها أن تعمل على تلاحم قواها . ليكون منها منطلق لاستئصال قوى الشر ، والتدمير ، ولطمر البؤر السوداء ، وأوكار التجمعات الرجعية وزوايا الخيانة والعمالة .

وانها ـ قوى الخير هذه ـ لها من تجاربها فى « النضال » وخبرها وعبرها فى شتى سوح المقارعة والمعاناة والالتحام ما يؤهلها بجدارة وثقة أيضا أن تكون الظافرة المنتصرة .

ويختتم ذلك بتذكير هذه القوى الخيرة : انه من دواعي الاسف والالم ان يميل بهم الاختلاف على الصور والاساليب عن تناسي روعة المحتوى والمضمون فيما يتعلق بالعمل السياسي .

ويحذرهم أن تذهب كل دماء الضحايا الفوارة طيلة سنين وسنين هدرا ، أو ان يغتدى دمها خمرا لمعتصر أي أن يكون سوقاً للتساوم والتعامل .

عقدٌ من التضحيات الغر منتظَمٍ
جُرم المفرِّط فيه غيرُ مغتفَرِ
لعَيّ صفوفَك يشمخْ في تلاحمها
مجدٌ يضاف الى أمجادك الأُخَرِ
واستأصلي البؤرَ السوداء ، واقتلعي
منها الجذورَ ، ولا تُبقي ولا تذرِ
أخزى وأقذر من مستعمر غُصُبٌ
راحت غطاء على مستعمرٍ قذرِ
تكاد تعطيه من أضلاعها نفسا
به تمدّد من أنفاس محتضَرِ
وشبهُ منتهزٍ أيتامُ نعمته
ومثل مؤتمِرٍ أفراخ مؤتمِرِ
ويا براعم مجدٍ في كمائمها
مُدّي جباهَكِ نحو النور وازدهري
تعاطفي كخيوطِ الفجر وانبلجي
في جنح ليلٍ بعيد الغور معتكِرِ

انَّ الدياجرَ لا تنجلي غياهبُها
الاّ اذا التم شملُ الأنجم الزهر
ويا جموعاً يهاب الموتُ زحفتها
سُدّي الطريقَ على الردّات واختصري
أنتم ركائز حقٍ بعدما ذهبت
درجَ الرياح أطانيبٌ من الشعَر
ونخبةُ القوم يَستهدي بأوجُهها
شعبٌ تخبط فى عمروٍ وفى عُمر
تشاجري والبلايا السودَ تنتصري
فقد تعاطيت منها كلَّ مُشتجَر
وقد تمرَستِ حتى كلُّ نازلةٍ
لها واياكِ ميعادٌ على قدَر
كفرٌ بسفر نضالٍ أن يميل به
عن روعة المحتوى خلفٌ على الصور
وبالضحايا تلوب الحشرجاتُ بها
أن يغتدى دمُها خمراً لمعتصر

الفداء .. والدم

القيت فى الحفل الذي أقامته المنظمات الفدائية ببغداد احياء لذكرى الشـهيد العربي الفدائي « صبحي ياسـين » فى « قاعـة الشـعب » • وذلك فى خريف عام ١٩٦٨ • وقد نشرت القصيدة لاول مرة فى جريدة « النور » البغدادية ونقلتها عنها صحف ومجلات عربية عدة •

جلَّ الفداءُ وجلَّ الخُلدُ صاحبه

ضاق الفضاءُ وما ضاقت مذاهبه

لونٌ من الخَلقِ والابداع يُحسنه

خلقٌ تصاغ جديداتٌ رغائبه

وذروةٌ من سماحٍ لا كَفاءَ لها

الا مَطامحُ من عزَّت مَطالبه(١)

في الفَدي من جبروتِ الليلِ رهبتُه

وعنده من ضحاياه كواكبه

يتلوه رأدُ الضحى شِفعاً وتقدُمه

من روعةِ الفجر زحّافاً مَواكبه(٢)

جلَّ الفداء وان ضجَّت مآتمه

على الشهيد وان رنت نوادبه

---

(١) لا كفاء لها : لا نظير لها .

(٢) رأد الضحى : ارتفاعه واشتداده ، ويتلوه رأد الضحى شفعا ، أى يجي بعده ملازمة كما يجيء الشفع بعد الوتر ، أى الثاني بعد الاول .

إنَّ الزمازمَ في الدنيا لمصرعه

صدى الزمازم صبّتها كتائبه(٣)

جلَّ الفداء فما ينفك مَأرُبة

لكلِّ مستبسلٍ أعيت مآربه

وبورك الدربُ مسحوراً يتيه به

نكسٌ ، ويحتضن الصنديدَ لاحبه(٤)

دربُ الخلودِ بليلاتٌ لوافحه

على الفُداةِ وجنّاتٌ سباسبه(٥)

حوى النضالَ فسيحاً ما به غلقٌ

ولا بمائعةٍ رخواً رحائبه

---

(٣) الزمازم جمع زمزمة وهى صوت الرعد فى أقوى ما يكون عليه ، وهو أيضا صوت الأسد ، ومعنى البيت أن ضجيج الحزن والتأثر لمصارع الشهداء من الفدائيين ، انما هوصدى ورجعٌ وشبيه بالضجيج الذى تحدثها كتائب جيوشهم وهى تنصب على أعدائهم .

(٤) النكس وجمعه أنكاس هو اللئيم المقصر عن ادراك غاية النبل والكرم، والصنديد الشجاع المقدام ، واللاحب الواسع الرحب من الدروب ،

(٥) السباسب ومفردها سبسب ، المفازات البعيدة الشاسعة الواسعة .

على حَفافيه من شعبٍ مصائره

وبين جنبيه من أمرٍ عواقبه(٦)

من عهد آدم والدنيا تلوذ به

تُعلى مرافهها الجُلّى متاعبه(٧)

يمشي الكميُّ على إثر الكميِّ به

للخلد سِيانَ ناجيه وعاطبه

ويستجدُّ البناةُ الصيدُ تُلهمهم

غرائبَ الفكر خلّاقاً غرائبه

مدى الأبيد وأبدان تنادمه

نضحَ الدماء، وأذهان تساكبه(٨)

---

(٦) حفاف الشيء وحفاف الطريق وحفاف الشعر جانبه وما يحفّ به من حواليه وجمعه « أحفّة » وفي القرآن الكريم « حافّين من حول العرش » أي محدقين به ٠

(٧) المرافه أطايب العيش ، والرفه ـ بفتح الفاء ـ هو لين العيش وطيبه ورغده ، ومعنى البيت ان هذا الدرب ـ درب الخلود ـ ما انفك من عهد آدم وسيظل حتى الأبد ملاذاً للحياة وللبشرية كلها ، بما تتيح لهما متاعب النضال والكفاح للسائرين عليه من طلائع الثوار والاحرار من غد مشرق ومن حياة فضلى وحرة ، ورغيدة ٠

(٨) نضح الدماء هو ما ينضح منها وما يسكب ، ومعنى البيت والبيتين

ينيره بشعاع الفكر مسرجه

ويهتدي بسراج منه خاضبه

وما يزال الغدُ المنشودُ في يده

يُقاس بالحاضر المشهودِ غائبه

* * *

غادى ثراكَ بنَ « ياسين » وراوحه

من الغمام مُلِثُّ القَطر صائبه(٩)

التالين له هو : ان درب الخلود والخالدين يتنازعه ويتقاسمه أبداً وعلى مر الدهور الخالدون من طلائع الفكر البشري ، ورواد الثورة والانطلاق من أحرار العالم ومفكريه ، والخالدون من شهداء ملاحم البطولات ، ومضامير الجهاد والنضال المتعاقبون موجةً بعد موجة على سوح الشرف والكرامة والحرية .

وان شعاع الفكر الخلاق والثائر ينير هذا الدرب بادىء ذي بدء ويتلوه على أثره ويهدي منه الابطال الشهداء الخالدون ممن يخضبونه بدمائهم .

(٩) غاداه وراوحه : أي لازمه جيئة وذهابا، وهومن الغدو والرواح، و«ملثُّ» القطر أكثره الحاحا واستمراراً ومصدره « اللثّ » و « الالثاث » . « وصائب » المطر هو ما يروى الارض بكثرة ما يصيب منها ، ويقع عليها .

صنعُ السماء وعند الأرض صَنعتُهـا

دمُ الشبـاب مُلثّـاتٌ سحائبـه(١٠)

يَسقي ضريحَك لا ينفـكُ دائبُـه

عـن الضجيج ، ولا يصطكُ ذائبـه

سبحانَ من بدّل الدنيـا وساكنَهـا

لقـد مشـت خببـاً فينـا عجائبـه(١١)

كان الكريمُ يوفّى الـنذر منتحيـاً

قبرَ الـكريم عقيراتٍ نجائبـه(١٢)

تصـاعـدت همـمٌ للفـدي واستبقت

مـراتبَ النفر الفـادي مـراتبـه

---

(١٠) معنى البيت : ان هناك ـ سحابا ثانيا هومن صنع الارض، غير السحاب الذي تصنعـه السمـاء وهو مـا « تلثه » وتريقـه على درب الشهيد « ابن ياسين » ، وعلى قبره صدور الشباب الفادى بمـا تفجره من دمائها الزكيّة .

(١١) الخبب هو سرعة العدو والركض .

(١٢) العقيرات من النجائب ـ وهن النوق الجيدة النجيبة ـ ما يعقر منها والعقر هو ان تضرب الناقة أو البعير على قوائمهما قبيل ذبحهمـا . وانتحى الشيء أخذ ناحيته وقصده قصداً .

وفَّى لأمَّته نذراً مفجّرةً

نحوره ، وخضيبات ترائبه(١٣)

* * *

ويا صحابةَ ، صبحي ، جهّزوا زُمراً

منكم إلى الملأ الأعلى تصاحبه

غنّ الفراديس ملقى كلّ ذي شرف

طهرُ الملائك أرْحامٌ تناسبه(١٤)

غرّ الجباه على الغبراء تسرجها

مرْجُ المروءات ضوّته حباجبه(١٥)

---

(١٣) الترائب ومفردها « تريبة » هي اضلاع فى الجانب الأيمن من الصدر وفي الجانب الايسر منه . ومعنى القطعة من القصيدة ابتداء من « غادى ثراك .. » حتى « وفى لامته نذرا .. » هو الاشارة الى تصاعد الاجيال وتصاعد مفاهيمها فى البذل والتضحية والمفاداة ، والمقارنة بين ما كان عليه العرب فى جاهليتهم فى اكرامهم ذكرى أبطالهم ومصارعهم من عقرهم النوق النجيبة على قبورهم ، وبين ما هم عليه اليوم فى مثل ذلك من تفجيرهم نحورهم وصدورهم جرياً على سنة « الفداء » ، وأخذاً بعنان البطولات .

(١٤) غنّ الفراديس ومفردها «غناء» مزهرها ، والملتفة أشجاره وأغصانه منها .

(١٥) الحُباحب بضم الحاء الاولى ومفردها « حبحاب » هي ذباب على

تسربلوا رملة الوادي يحنّطهم

نسيمه ، وتُواريهم مساحبه

وأسلموا حشرجاتٍ جدَّ هانئةٍ

ان الذي وهبوه الجرحَ عاصبه(١٦)

ذابوا على شفةٍ منه مصارعهم

فيه بحيث أظلّتهم ملاعبه(١٧)

هيئة الفراشات يشع في الليل ويضيء الحقول والمروج ، ومعنى البيت : ان جباه الشهداء الغرّ تضيء سوح الفداء ومروج المروءات كما تضيء الحباحب الحقول والمروج .

(١٦) عصب الجرح ضمّده وهو من العصابة كانوا يلفون بها جراح الفرسان ، ومعنى البيت : ان هؤلاء الفداة كانوا يسلمون حشرجات الموت وهم هانئون لمجرد أنّ من ماتوا لاجله ووهبوه جراحهم وهو وطنهم السليب قد ضمد جراحهم بما أهبّ عليها من نسائمه ، وبما لفّها من ترابه ورماله .

(١٧) فى هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية له تصوير للحظات الاخيرة لصرعى الفداء وللاطياف التى كانت تطوف فى نفوسهم ، وأنّ حلما غافياً كان يمسهم ، وان طيوفا عابرة لمرابع فلسطين وارياضها كانت تعانقهم وأنهم كانوا يخلطون بين ملامح الغزلان والظباء السانحة فى تلك المرابع وبين ملامح الفتيات العذارى الكواعب فيها .

وان واحات الزيتون المَخيلة كانت وكانها بلطفها تنفض عن جفونهم المثقلة رعب الموت وفظاعته .

ومسَّهم حلمٌ غـاف وعانقهـم
طيفٌ بآرامه تُحكى كـواعبـه
ونفَّض الرعبَ عن أجفان محتضرٍ
ظـلٌّ لـواحـة زيتـونٍ يداعبـه
ولمحُ « بيـارةٍ » لـم يـدن رائعُـه
حتّى انثنى كرفيف الموتِ شـاحبـه
يا روعـةَ البحـر قد جاشت غواربـه
من بعـدِ مـا لانَ وانداحت جوانبـه(١٨)

* * *

تفجَّـرت جنبـاتُ الليـل عـن نغمٍ
حُلوٍ كرجعِ صدى الأحلام ثائبـه(١٩)

وأنّ لمح « بيارات » الليمون والبرتقال كانت ترف عليهم رفيف الموت نفسه ، حتى لا يدنو رائعها الا ريثما يرتد طيفه وهو شاحب متضائل .

(١٨) غوارب البحر ومفردها « غارب » أعالي موجه وأثباجه ، وانداح استرسل ، والكناية هنا عن روعة البطولات وتصاعدها بعد أن ابتدأت مسترسلة هيّنة .

(١٩) القطعة « حتى البيت : كانت حلول وها أنتم ... »
تعبير عن قوة المد الفدائي ، وروعة انتشاره فى أرجاء الارض

ناغى « بفتحٍ » و « تحريرٍ » و « عاصفةٍ »

كمـا تُناغي أخـا وجدٍ حبائبـه

وخِلتني مـرهِفـاً سـمعاً لأُنجيـةٍ

في المشـرقـين مُرنّاتٍ تجـاوبـه

مـرحى شباب فلسطينٍ بـه مـرحْ

مـع الردى فهـو سـاقيـه وشـاربـه

مـرحى لمسـتبقـين الدهر أزعجهـم

مَطالُـه وأملّتهـم ركـائبـه

وتفجّر الوعي العالمي على زخم الفداء والبطولات ، ثم ينعطف الشاعر من ذاك الى مناغاة شعاب فلسطين ، وطلائع الفجـر الزاحف منهم • والذي ينعته بأنه مَرِح في معاطاة الموت فهو يسقيه اعداءه وغاصبي وطنه قدر ما يشرب منه • كما يساقي الشرب بعضهم بعضا ، وانهم الجئوا الى ذلك بسبب من التسويفات والماطلات السياسية ، وبعد ان أتعبت ظنونهم واستنفذت صبرهم الشهور والاعـوام ، وانهـم اعتلوا صهوات اليأس ومتون الخطر بعـد أن امالت بهم عن أمل مكذوب لا رجاء فيه كالناقة المأيوس منها التى اقتطع سنامها ـ وهو ذروة الظهر منها ـ واجتث غاربها ، وهو الـكاهل او ما بين الظهر والعنق ، ثم يوضح ذلك بقوله : ان هـذا الشباب الفلسطيني كان فرائس حلول سلميّة مزعومة وكان ضرائب حلم وصبر مدعيين •

يلـوي ظنـونَهـم شـهـرٌ وقـابلُـه
ويمتـري صبرَهم عـامٌ وعـاقبـه

مسمَّرين عـلى وعـدٍ بـلا كنـفٍ
من ضـامنيه ، ولا حـولٍ يُصاقبـه

مالت بهـم صهوات اليأس عن أملٍ
جُبَّ السَنامُ به واجتُثَّ غـاربـه

كانت حلولٌ وهـا أنتـم فـرائسهـا
وكان « حلمٌ » وهـا أنتم ضـرائبه

ويـا شـباباً كطهـر الفجـرِ سيرتُـه
وكـالسحـاب نقيـاتٌ نقـائبـه

ممـن تبنّـاه « غسـانٌ » وسـامرُه
وذو النعيمينِ « نُعمـان » وحـاجبـه(٢٠)

---

(٢٠) ٠٠ الغساسنة ملوك بر الشام عـلى عهد الرومان ، و « النعامنة » ملوك الحيرة وسواد العراق على عهد الفرس ، وذو «النعيمين» اشارة الى النعمان ملك الحيرة الذى كان له يومان يوم بؤس وفيه يهلك من يقع بين يديه ويوم نعيمٍ وفيـه يفيض عطـاء ورفعـة وسماحا ، في حادثة مروية كانت سبباً لذلك ٠

لا تخذلوا «فتح» عن ضيقٍ وعن سعةٍ
فيما يراضيه أو فيما يغاضبه
ولا يَطِرْ بكمُ وهمٌ فثمَّ غدٌ
يُحصي الحسابَ وتأريخٌ يحاسبه
ولا يزحزحكم خلفٌ ولا جنفٌ
عن موقفٍ أعين الدنيا تراقبه
فليس بين طواعينٍ وأوبئةٍ
مثلُ الشقاقِ اذا دبّت عقاربه

* * *

ويا فتى الحيِّ مازجْ تربَه بدمٍ
كما يمازج صرفَ الراح قاطبه(٢١)

والقطعة حتى البيت : « فليس بين طوعين » .. استمرار للقطعة السابقة واستنهاض للشباب العربي ان يشدوا ازر منظمات الفداء وفي الطليعة منها « فتح » و « عاصفة » وان يستفيقوا تماما من احلام الحلول ومن اطياف الوعود .

(٢١) قاطبه : اى مازجه من القطوب وهو ان تكسر شوكة الخمرة بالماء .
والقطعة حتى البيت :

وحان للوطن اجتيحت سلامته
أن يصفع السلم رعديداً محاربه

ولا تثق بوعــودٍ ما استُجيش بهــا

جيشٌ لقــومٍ ولا نصـرٌ يواكبــه

اشادة بشجاعة « الفدائي العربي » ، وطلب اليه ان يمضى قدما في مفاداتــه وتضحياتــه . وأن لا يثق بكل المــاطلات والتسويفات السياسية التي تطيل في أمد الاحتلال الصهيوني لفلسطين، وتميت في نفوس الجماهير جمرات الغضب ، والثورة والحقد على الغاصبين، ولا بكل الحلول السلميّة ، المزعومة التى لا يكسب بهــا نصر ولا تستجاش بها الجيوش ، والشاعر يصف هذه الدعاوات بالصخب الذى تثيره اللقالق وهي تطقطق الحصى .

ثم انه ليتساءل عما اذا كان هناك فى التاريخ « حوار" » سياسي أعاد للمغصوب ما غصب منه ، وللمقهور ما سلب من أرضه وكرامته ، وعما اذا كان حوار مزعوم كهذا يختلف عن غشيانك ذئباً ممعوطاً لتعاتبه بالحسنى ، املا بأن تكفى مذأبته وضراوته ، وعما اذا كان ذلك يختلف أيضا عن محاولتك أن تزحزح الوحش جاثما علىفريسته بأن تتزلف اليه بما تمسح من مخالبه .

ثم انه ليتساءل عما اذا كان سواء من أنجز وعده فعلا ، ومن وعد بانجازه زعما ، أو من غسل عارا لحقه وأهله بدمه ، وآخر يكتفى عن ذلك بشجبه العار ، والتنديد به ، والشاعر يخرج من كل ذلك الى نتيجة واحدة منطقية هو أن ليس أمام الوطن العربي والشعب العربي الا ان يستثمر قضيته العادلة ، بأن يشدد من غضبته الحانقة، ومن حقه الصارخ بالدم وبالفداء حتى يخر الغاصب السالب عــلى الاعتاب .

والا ان يهزأ الفدائي العربي بالسلم الجبان وعقباه الاستسلام ليس الا ، وبذاك وهذا وحدهما تضمن كرامة الوطن العربي الذى احتيجت سلامته وكرامته .

ولا بسـرب دعـاواتٍ يُخـال بهـا
سـربُ اللقالقِ مُزجاةً صـواخبـه
ملَّـت مـن النغـم الـواهي مثالثـه
وعـافت الـوتـر الجـافي مضـاربـه
وهان خطبٌ لـو اختصَّت صوادحُـه
بمـا تغنّى ، ولـم تتعب نـواعبـه
فمُدّعىً شـاءه جهـلا صوادقُـه
غـير الـذي شـاءه علمـاً كـواذبـه
أبِالحـوارِ يـردُّ الغُنـمَ غانمـه
أو يـرجـع البلدَ المغصـوب غـاصبـه
أم أنت تطمـع أن يكفيـك مـذأبـةً
غشيـانُك الذئبَ بالحسنى تُعاتبـه
أو أن يُزحزحَ وحشٌ عـن فريسته
بـأن تمسَّـح بـالـزلفى مخـالبـه
أم يستوي منجـزٌ وعـداً وزاعمُـه
وغـاسـلٌ بـدمٍ عـاراً وشـاجبـه

قد آن للحق أن تشتدَّ غضبته
حتى يخرَّ على الأعتاب سالبه
وحان للوطن اجتيحت سلامتُه
أن يصفع السَلمَ رعديداً مُحاربه

* * *

ويا بن امِّ الدواهي أيُّ منتسَبٍ
اذا نمت ماجداً حراً مَناسبه(٢٢)

---

(٢٢) ابن ام الدواهي ، كناية عن « الفدائي » المخاطر بنفسه فى الحروب والواهب اياها للموت وهذه الأمومة ، وهذه البنوة يستخرج منهما الشاعر أزكى نسب يفخر به الفدائي على كل حرٍ ماجد .

والقطعة حتى البيت : « يحيا مع الموت .. » استثارة للبطولات وتهوين للموت فى سبيل المثل الاعلى ، وتصوير للمآسي والنكسات التى لفت العوالم العربية حتى لكأنَّ الشرق العربي عاد مغرباً للشمس ، وحتى كان لم يبق فيه من سناً للاصباح الا الجباه المعفرة للفداة الشهداء ، ومن مطلع للشمس الا دروب التضحية والمفاداة ، وحتى لم يبق الا وضح الدماء ما يجلى به غياهب الظلام .

وفى القطعة نفسها اثارة للجبناء ، وللمترددين ودعوة الى اقتحام الردى وأن لا يراعوا بسيمائه ، وقطوبها . فما ذلك الا لانها تعبير عن غيظ الموت وحنقه على كل طالب حق ويجانبه .

وأخيرا فان الشجاع المستميت يذوق الموت مرة واحدة ، اما القعدد الجبان فانه يعيشه طول الدهر .

دع مشرقَ الشمسِ للدنيا يُغازلهـا
فقد دجَتْ عربيّاتٍ مغَاربه

سنى الصباحِ جبينٌ أنت عافره
ومطلعُ الشمس دربٌ أنت راكبه

لم يبقَ الا الدمُ الوهّاجُ تنضحه
على ظلامك كي تُجلى غياهبه

أقول للقعدد المهزول أضمره
هوانه وهوى للذلّ جانبه :

ذقْ من خُوانِ الردى تُسمنك عزّته
واقحمه تَعصمكَ من ذلٍ أطايبه

ولا تروّعْ بسيماه فانّ به
غيظاً على ناشدٍ حقّاً يُجانبه

يُغري الشجاعَ بأصحارٍ تيقّنُه
أنّ الجبانَ خبيثاتٍ معَاطبه

يحيا مع الموتِ عند الموت مرتغبٌ
فيه ، ويحياه طولَ الدهرِ راهبه

* * *

أقسمتُ بالدم عملاقاً فلا زَيغٌ

في مشيتيه ولا عوجٌ مَناكبه(٢٣)

تحمَّل الوزرَ ألوى عنه وازره

وعافه خدنُه ، وانسلَّ صاحبه

لخيرِ يوميك يومٌ تستردُّ به

من كفٍّ أمسكَ مجداً فات ذاهبه

يومٌ دحضت به عاراً ، وصنت به

غداً ، وأدركت ثأراً عزَّ طالبه

سل الطواغيتَ هل من غالبٍ أشِرٍ

الاّ وهذا الدمُ المغلوبُ غالبه

يزعزع الثقةَ العمياء ساربُه

كما يُزعزع جذرَ الدوح ضاربه

---

(٢٣) معنى البيتين فى أول القطعة حلفٌ بالدم العملاق المستقيم الجرى والاندفاع ، ووصف له فى معرض الاشارة الى واهبه ـ بانه فدية عن قصور الآخرين وتقصيرهم ، وانه يتحمل الوزر عن وازره ومسببه وعمن تنصل منه ، وعمن انسلّ عنه ، وجواب القسم هو البيت :

« **لخير يوميك** .. » وباقي القطعة تاكيد لأولها

وما المُفاداة سرٌّ انها خطرٌ
هانت على يد مقدامٍ مَصاعبه

إنَّ المشيّع مدّته عزائمه
مثل المحنّك أغنته تجاربه

يا صادق الفجر زعزع أعيناً غفيت
فقد تقرحن مما طال كاذبه

وأنتِ يا جمرةَ الحرف التي نضجت
أمُّ الكتاب بما توحي وكاتبه

كوني لي العونَ في خطبٍ أكابده
ونجدةَ الغوث في خلقٍ أخاطبه

فقد تكتّمتُ حتى لجّ منفجراً
بي الضميرُ وحتى ضجّ صاخبه

خمسون عاشت فلسطيناً ومحنتَها
كما يعيش قتادَ الشوكِ حاطبه

نُضوى على قدر ما نغشى مآدبها
إنَّ اللئيمةَ تُضوي من تؤادبه

من وعد بلفور ، زقوماً ، نُطاعمه

حتى حزيران ، غسليناً ، نُشاربه

* * *

وتائهين تُهين الشمسُ عرَتَهم

ويحسد الليلُ اذ تُرخى ذوائبه(٢٤)

صرعى الخيامِ ملايينٌ ممزّقةٌ

كنسجهنّ الذي راحت تجاذبه

تُجبى لها الصدقات المرُّ مطعمُها

مرأى ومسمع من راقت مشاربه

---

(٢٤) القطعة هذه وما بعدها حتى البيت : «لسوف يحقب..» من الوضوح بحيث تغنى عن التطويل فى شرحها ، وهى بخلاصتها وجوهرها استعراض لنصف القرن الذى عاشته بمرارة وانغلاب فلسطين المغتصبة بخاصة ، والامة العربية عامة ابتداء من وعد بلفور عام ١٩١٧ حتى عام النكسة الكبرى ١٩٦٧ .

ثم استعراض للحياة المزرية المهينة التى يحياها ما يقرب من المليون ونصف المليون من اللاجئين الفلسطينيين فى خيام ممزقة ، وبكرامة ممزقة مثلها . مرأى ومسمع أصحاب الملايين من حكام العرب وأثريائهم والمترفين منهم .

وحَولهن ملايينٌ مكدّسةٌ

كالاثم ضُوعف لا يُحصيه حاسبه

ما أوقح الورقَ الدينار كم شمخت

على مناصبٍ حاوية مناصبه

هذا الأديمُ سيُخزي منه وادعه

حتى يصبَّ عليه اللعنَ غاضبه

يا ويح ما سوف تلقاه مخنّثةٌ

من القصور اذا ثارت زرائبه

لسوف يحقب من عارٍ ومن ضعة

من راح أمسِ مليئاتٍ حقائبه

* * *

يا قائد « الفتح » يستذرى بنبعته

نبعُ الفداء وترعاه مواهبه

ندٌّ مع الموت غضباناً يناجزه

وجهاً لوجه كجلاّد يناصبه

يلقى الحديدَ بأضلاعٍ يفجرها
حقدٌ يذيب شبا الفولاذِ لاهبه

يهتزّ بالجرح تلوَ الجرح يحمله
كالسيف يعتزُّ أن فُلّت مَضاربه

يا واهبَ المجدِ أعراقاً يفصّدها
أغلى من المجد كنزٌ أنت واهبه

وجالبَ النصرِ عن صبرٍ وعن ثقةٍ
والنصرُ من هو ـ إلاّ الصبرُ ـ جالبه ؟

أُثني عليك بما يُثنى على بطلٍ
نبعُ البطولات أشباهٌ مَساربه

وما عسى يبلغ المنطيقُ من رجلٍ
أسمى وأبلغُ من نطقٍ مَناقبه

بل لو نثرتُ النجومَ الزهرَ أعوزني
نجمٌ يوفّيك حقَّ القولِ ثاقبه

* * *

يا قائـد « الفتح » انّ النفَس مُرسَلَةٌ

كالطير تترى مراسيلاً عصائبه(٢٥)

وأصـدقُ الشعر ما هبَّت نسائمه

مـن الضمير ومـا شبَّت لواهبـه

وخيرُ من قِيضَ للنجـوى أخو ألـمٍ

نـدبٌ أراح عليه الهـمَّ عـازبه(٢٦)

أفرغتُ روحي في الأرواح أمحضُها

بثّاً صُراحاً وشر البث رائبه(٢٧)

---

(٢٥) مرسلة من الاسترسال وهو الانبساط فى متابعة الحديث والمراسيل – ومفردها مرسال –هو فى الاصل سهولة السير ونعومته للنوق ، وهي هنا توسع فى نقلها الى وصفٍ للطف طيران عصائب الطير وتتابعه ·

(٢٦) قيض للنجوى : هيّئ واتيح لها، والندب النجيب والكريم، ورواح الهم وعزوبه تكرره ومداومته فهو لا يكاد يذهب حتى يعود ·

(٢٧) الصراح : الصريح ، والرائب : الكاذب ، وهما في الاصل عند العرب للبن بزبدته وللبن المسحوبة زبدته منه ·

والقطعة هذه والسابقة لها اطراء لقائد « منظمة فتح » وثناء له على بطولته وصموده وتوجيهه ، ثم بث الشاعر اياه أحاسيس نفسه ، وخوالجها ، ومناجاته بصراحة ووضوح عما تجيش بـه المجتمعـات العربية من مضاعفات ومفارقات ، ومن تناقضات ايضا فى القـاء

أشكو اليكَ تضاعيفاً بمُجتمعٍ
على مَحاسنه أربت مَعايبه

ما إن تزالُ به الأعباءُ جاثمةً
على القليل اذا نابت نوائبه

شطَّ المسافُ أفادٍ نفسَه كرما
ومُفتداةٌ بأهليه مَكاسبه

وصاهرٌ في جحيم الناس مهجتَه
طاوي المُصيرِ على الضرّاء ساغبه

وامّعاتٌ فلا زرعٌ وزارعُه
هم لديهم ولا ضرعٌ وحالبه

تُباعدُ الموتَ اشفاقاً ويدمغها
شرٌ من الموت اذلالٌ تُقاربه

وناسجون من الأحلامِ أرديةً
كلٌ تجلبب منها ما يُناسبه

التبعات الكبار والكثار على عواتق معدودة ، وفى تخلى الآخرين عنها ، وركونهم الى الدعة وحب السلامة واشارة الى فريق آخر يعيش فى الاحلام يلذها ، وفى الاوهام يغالط نفسه بها .

ومنطـوون : عـلاليهـم صوامعُهـم

ليت البديـلَ بهـم ديرٌ وراهبـه

نعم الرِهـانُ اصطلى بالعـار خاسره

وانصـاع مُعتمـراً بالغـار كـاسبه

يا قائد « الفتح » لم أهدف الى شَعَبٍ

وأنت عندكَ مـن هـمٍّ شـواعبـه(٢٨)

لـكنَّهـا نفثاتٌ يُستراح بهـا

وقـد تُعينك في هـمٍّ جوالبـه

* * *

يا قائدَ « الفتح » ما فتـحٌ بـلا تعبٍ

مهـرُ الطَماحِ الى العليـا متاعبـه(٢٩)

---

(٢٨) معنى البيتين : انني لم أقصد ان أصدعك بما أبثك واناجيك وأنت عندك صدوع من جراحات جمة ، وانما هو بثٌ استريح اليه وفى الشطر الاخير منهما يتمثل الشاعر على ذلك فيقول : ان جوالب الهموم بحد ذواتها تكون فى بعض الاحيان دوافع لها ، أى ان ما يثير الحزن أو الهمّ فى نفسك قد يكون مساعداً ونصيراً على تخفيفهما ، اذ يكون كبتها وحبسها مضاعفاً لها ومزيداً فى تأثيرها واعتمالها .

(٢٩) فى هذه القطعة الاخيرة تأميل وتوقع لما سيسفر عنه ــ لا محالة ــ

مـا لذَةُ الـدربِ معموراً تسـايـره

وقيمــةُ الأمــر ميسـوراً تطـالبـه

يا قائـد ، الفتح ، والدنيـا الى صُعُدٍ

والفكـرُ يستبـق الغايـاتِ دائبــه

وربَّمــا ازدهـرت غنــاءَ وارفــةً

غــداً من القمـر النائي خـرائبــه

تُمايز الـكـونَ عـن كـونٍ طبائعه

وتَفرقُ الجيلَ من جيلٍ ضـرائبــه

سيـدرك بـن غـد عـزمـاً ومقـدرةً

مـا نحن عن خَورٍ فينـا نُجانبــه

فطالمـا جبَّ عهـدٌ وزرَ سـابقِـه

كما نفى الغلطَ المفضـوح شـاطبـه

الغد الذى يتمخض عنه اليوم المشحون • والمؤذن بالانفجار • وأن المستقبل المنتظر سيمر على أمس الغابر كما يمر المصحح على أغلاط يشجبها وسينهض الجيل للجيل كما ينهض المتبارزان فى حومة القتال •

وقـد تؤنـِّب أسلافاً خلائفُهـا

كمـا تؤنـِّب طفـلاً أو تعـاقبـه

سيُسفـر الغـدُ خلَّتـه شـوائبـه

مثلَ الجَمامِ انتفتْ عنـه شوائبـه

سيحفزُ الجيلَ أجيـالٌ تسابقـه

كمـا تُطـاعـن قَرنا أو تضاربـه

لسـوف تحـدوه للمغنى نواشـطـه

وانْ تـرامت طليحـاتٍ لواغبـه

وسوف ينجـاب كالاصباح مُقتبلْ

هـذي الضحـايا عزيزاتٍ جوانبـه

مـا أبعـد اليـومَ عن غـرٍّ يجانبـه

وأقـرب الغـدَ من واعٍ يوائبـه

رسالة مُمَلّحة ..

الى اخي السيد "عماش"

أرسلها الشاعر من « براغ » ، من مشارب « سلوفينسكي دوم »(*) الى صديقه الفريق اول الركن صالح مهدي عماش عضو مجلس قيادة الثورة ، ونائب رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية ، يتشوق بها اليه ، ويحاوره فيها على أثر الحملة التى شنّها على « الميني جوب » فى العراق .

وقد اجابه السيد « عماش » بقصيدة على وزنها ورويّها يجدها القارىء أثناء الشرح على القصيدة .

كما انه ـ القارىء ـ سيجد مقطعاً من قصيدة يعدها السيد الجواهري جواباً على جواب السيد « عمّاش » .

(*) « سلوفينسكي دوم » تعني بالعربية « البيت السلوفاكي »

وفَى لهـــا نـذراً فـوافـى
وسـعـى بهـا سـبْعاً وطـافـا
ورمـى لهـا الجمـراتِ مـن
قلبٍ تعلَّقهـا شـغـافـا
عـاد الحجيجُ وقـد سـعى
وسـعى ويـأبى الانصـرافـا
يتلمَّس الحجَـراتِ يعرفهنَّ
قــربى وازدلافـا[1]
ويــرى بكــلِّ ثنيــةٍ
بعثـاً لـذكـرى واكتشـافـا

* * *

ألـوى بهـا والثلـجُ يحتضن
المشـارفَ والحفـافـا
السـمحـةُ المعطاءُ حُمِّلت
الخصـاصـةَ والشـظافـا

---

(1) الازدلاف كالزلفى التقرب والتودد .

سيمتْ عن المرحِ الخواء

وعن رغادتها الكفافا

عريت فراحت بالنديفِ البضِّ

تدثّرُ التحافا

حتى المدارجُ فى الكُوى

الخفراتِ يخفقن ارتجافا

وشتا بها وكأنّه

لم يشتُ قبلُ . ولا أصافا

متنظراً عرسَ الربيعِ

لعلّه يرعى الزفافا

* * *

آهٍ على « ابن العبدِ » اذ

يتبرّضُ اللهوَ اشتفافا(٢)

---

(٢) « ابن العبد » هو الشاعر المجلي ابن الخامسة والعشرين ، « طرفة بن العبد » صاحب المعلقة الشهيرة ذات المطلع :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد

يهوى «الطراف» و «بهكناً»

بضّاً، وأن يحمي المُضافا(٣)

لو عـاد لاختصر المسافا

لـدنا، وحيـّا، واستضافا

لـرأى لـه وسَـطَ الجبـالِ

الخضـرِ مـن ثلجٍ طرافا

لاعتاض عـن حلبِ العصير

مشى به عِلْجٌ ودافـا(٤)

والاشارة هنا، فى هذه القطعة الى أبياته فيها :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى — وحقك لم أحفل متى قام عودي

فمنهن سبقى العاذلات بشربة — كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكرّى اذا نادى المضاف محنبًا — كسيد الغضا نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن ـ والدجن معجب ـ « ببهكنةٍ » تحت الطراف المعمد

وتبرض اللهو تبرضا إشتفه إشتفافاً أى تعاطاه بنزارة وبقلة .

(٣) و « الطراف » الخيمة والطنب ، أو البيت من الأدم ، وهو الجلد والبهكنة المرأة السمينة الجميلة . و « المضاف » . وهو من استفرد وأحيط به فى الحروب أو الملتجىء وهو المستضعف أيضاً .

(٤) حلب العصير يراد به الخمرة المحلوبة من عصارة العنب ، والعلج فى الاصل السمين الغليظ واستعير لابناء الاقوام من غير العرب وغير المسلمين منهم بخاصة ، وداف : مزج وخلط .

حلَبـاً تقطّـر مـن شـفـاه

الغيـدِ يُعتصر انتزافـا

وعن « البهاكِنِ » كلَّ رودٍ

تُسرج الليـلَ الغُـدافـا(٥)

* * *

« أأبا هُـدىً » شـوقٌ يلحُّ

ولاعـجٌ يُذكي الشعافـا(٦)

شـوقَ المُبـارحِ لم يغيّـره

البعـادُ ، ولا تجـافـى

وهـوىً يضـجُّ كعاصـفٍ

يتـوعّـد الشجرَ انتصـافـا

يصفيـك محـضَ وداده

حـرٌ يُصـافي اذ يُصافى

(٥) الغداف الأسود وهو فى الاصل لجناح الغراب ، وللشعر الاسود المسترسل .

(٦) أبو هدى هو كنية السيد (عماش) ، والشعاف ومفردها شعَفَة بالتحريك هوملتقى نياط القلوب ، ويذكى الشعاف يضرمها ويشعلها .

يهب الحُشاشةَ لاذماً

منها يعاف ، ولا سجافا(٧)

حلوُ السريرةِ ، ينطف

العسلَ المُصفّى والسُلافا

فاذا استُثير فقلْ بصِلٍ

ينفثُ السمَّ الزعافا(٨)

يا منتج الدررِ الحسانِ

مَعانياً غراً ظرافا

يقطرن ابداعاً ، وايثاراً

وحبّاً ، وانتصافا(٩)

نُبئتُ أنكَ توسع

الأزياءَ عَتّاً ، واعتسافا(١٠)

---

(٧) ذما من ذماء وهي البقية من نفس الانسان ومن قوة قلبه والسجاف هو الغشاء الخفيف على قلبه ، ورئتيه .

(٨) الزعاف : صفة للسم القتال .

(٩) الانتصاف هو الاخذ بالعدل للحقوق المغصوبة .

(١٠) العت : كالعنت اى التشدد والتعنت ، والاعتساف والتعسف ، الظلم .

تقفــو خطــى المتـأنقــات

كســالـك الأثــر اقتيـافـا(١١)

وتقيس ، بالأفتـار ، أرديــةً

بحجَــةٍ أنْ تَنــافى

مــاذا تُنـافِي ؟ بـل ومــاذا

ثـــمَّ مــن خلـقٍ يُنـافى؟

حــوشيتَ ، أنــت أرقُ

حاشـيةً ، ولطفـاً ، وانعطـافا

وأشـــدُ لِصقــاً بالحجــى

وألـــدُ بالعــدل اتصــافــا

أترى العفاف مقاس أقمشــة ؟

ظلمــتِ اذن عفــافـــا

هــو فى الضمائر لا تُخـاط

ولا تقــصُ ، ولا تكافى

---

(١١) الاقتياف هو التعرف على مسالك السالكين من تتبع خطاهم على الارض ، والمقتافون الفئات المتخصصة بذلك .

من لـم يخف عُقبى الضمير

فمِن ســواه لـن يخافـا

* * *

يا قـائـدَ الجيش اقتحـامـاً

والتحـامـاً ، والتفـافـاً(١٢)

---

(١٢) القطعة خطاب للسيد عماش بصفته العسكرية ـ فريق اول ركن ـ بعد ان كانت مخاطبته في القطعة السابقة بصفته الادبية والشاعرية ومطالبته أن ينتقل بكلٍّ براعاتـه الذهنيـة القويـة من اقتحـام والتحام ، والتفاف الى ميادين المجتمع العراقي وان يقضي على كل مخلفات العصور القديمة ورواسبها ، وعلى الأخطبوط الارتجاعي المديد الذي يستنزف بذرائع كاذبة ، وأساليب ملتوية عـدة كل طاقـات الشعب وحيوياته ، ويعوقه عن ركب الحضـارة ، وعن مقومـات الحياة العصرية ، وعن كل المباهج والمسرات البريئة الجميلة التى يزخر بهـا كلُّ مجتمع قائم على مبادىء حقوق الانسان فى عيشة مرضية رضيّة .

وفى القطعة صور عديدة لمظاهر الحرمان ، وفيها الى ذلك تعبير عن مدى التخلف الفظيع والمخيف فى العراق حتى الآن ، وعما سيجره وراءه من خطر التخلف المستمر فى حين يتصارع العالمان الشرقي والغربي على اقتحام الافلاك ، وعلى اقتسامها أيضا .

ومردفة خلافا ، يراد بها ما يردفه الانسان خلفه فى سفره مـن شخوص وحاجات والبيت :

زحفـا كبيت ـ فى قصيد عـامر ـ يشكـو الزحافـا

طوّقْ جهالاتِ الحمى
والعنعناتِ به الجُزافا
وتقصَ كلَ جذورهنَ
فلا القويَ ، ولا الضعافا
أشِع الحياةَ ولطفَها
فى موطنٍ يشكو الجفافا
أقوى فلا المرحَ استجدَ
ولا الصداحَ ، ولا الهتافا
وخلا كما تخلو الفيافي
غيرَ أتربةٍ تَسافى
وسوى العروقِ الناشفات
كأنّها تشكو الرُعافا
ان لم تُسل نهرَ الحياة
فخلّه يرد الضفافا

هو كناية عن تخلف المجتمع العراقي تخلف البيت من الشعر الذى أدركه الزحاف ، وهو من عيوب الشعر خلال قصيدة عامرة مستقيمة .

فلقد أشاع الخوفَ فيه
وذُلُّ شعبٍ أن يخافا
وحشٌ من الحرمان لا
يُعفي السمانَ، ولا العجافا
عصر الدماءَ من الوجوه
وردّها صُفراً، نحافا
وأشاع فيها وحشةً
كالليل تأبى الانكشافا
هوت المحاجرُ بالعيون
كأنّ فيهن انخسافا
وتضرّت الرغباتُ منعَ
العاطشِ العذبَ النطافا
قسماً بودك وهو حلفة
مؤمن يأبى انحرافا
إن لم ندِن بالانطلاق
ولم نُصَفّ الارتسافا

فلألف عـامٍ سـوف نبقى

مثـلَ مُردفَـةٍ خِلافـا

متقهقريـنَ إذ العوالـمُ

تسبق الـزمنَ استلافـا

ستدور فى القمر الملاحمُ

تـوسعُ الفلـكَ انجرافا

كسبـاً لأيٍّ الغـازيـنِ

يحـلُّ دارتـه ادلافـا

ونظلُّ نحن نُطيل فيما

لا خـلافَ بـه خـلافا

زحفـاً كبيتٍ في قصيـدٍ

عـامرٍ يشكو الزُحافـا

* * *

يا مـن رأى فلـكَ النجـوم

مشى بأكـوابٍ وطـافـا(١٣)

---

(١٣) المراد بـ « فلك النجوم » السقاة فى مشرب « سلوفينسكىدوم » فى « براغ » ويوضح ذلك بقية البيت .

هذى الصحافُ من الزبَرجدِ
رُحن يحمِلن الصحافا
ساعاً على ساعٍ وقوفاً
وانتشاراً ، واصطفافا
ينعمنَ بالكدح الشريفِ
يوفّر العيشَ الكَفافا
الساحراتُ فمن يردُّك
ان يطرن بك اختطافا
والناعساتُ فما تُحسُّ
الطرفَ أغفى ، أم تغافى
والناهداتُ يكاد ما
فى الصدر يُختطَف اقتطافا
والخيّراتُ الناذراتُ النفسَ
للطيب اعتكافا
هدىُ المسيحِ الى السلام
على العيونِ طفا وطافا

ودمُ الصليب على الخدود

يكاد يُرتشف ارتشافا

علَّقن في أوساطهن

ما آزراً بيضاً ، خفافا (١٤)

وردَدنهنَّ الى الظهور

فكن أردفةً رِدافا

ساءلت نفسي لا أريد

لها عن النحو انصرافا

أترى « المضافَ اليه » أحلى

أم عُلاقتَه المضافا

أحكمن جارحةً فجارحة

رسوخا وانعطافا

ما يعلُ يعلُ الكائنات

وما يحطُّ فقد أنافا

* * *

(١٤) البيت والابيات الثلاثة بعده وصف للزيّ الموحد الذى يرتديه الجنس اللطيف فى المشارب والمقاهي والمطاعم .

« أأبا هــدى » إن كنتُ

مُتَّهمــاً ، فخـذ منى اعترافا

إنّــي وربٍّ صــاغهــنَ

كمـا اشتهى هيفـاً لطافـا

وأدقهـــنَّ ومـــا ونـــى

وأجلّهـن ، ومـا أحـافا(١٥)

لأرى الجنــانَ إذا خلــت

منهـن أولى أن تُعــافـا

لو قيـل مـا سـفر الحيــاة ؟

لقلت : مـا كُـن الغـلافـا

أو قيــل : كيـف الحبُّ ؟

قلتُ بأن تُـداءَ فمـا تَشافى(١٦)

* * *

(١٥) أحاف أي جار وظلم .

(١٦) يداء أي يصاب بالداء وبالمرض .

وفّى لها نذراً فوافى

وتجرَّموا فيه اقترافا(١٧)

---

(١٧) فى هذه القطعة الاخيرة تعرض لتقولات المتقولين على أثر مغادرة السيد الجواهري العراق للمرة الثانية الى « براغ » بعد رجوعه منها لاول مرة عن تغرب طال قرابة ثماني سنوات ، وارجافهم انه لن يعود منها . وهو يرد عليهم بأنهم كانوا كاذبين فى جملة تقولاتهم وان كانوا أصابوا فى جزء منها هو على قدر حرف « القاف » من كلمة « الصدق » وهذا الجزء هو فيما يتعلق بخوفه مما سماه بـ « خلق الفوارك » جمع « فاركة » وهى التى تداب على حب « الطلاق » من أزواجها لبغضهم اياها وهو من « الفرك » بالتسكين وبالتحريك معا وهو البغض ويكني بهذا عن خوفه من ملل المالين .

ويشير بالبيت : ما انفك يؤثر حرة الى بيت من صلب قصيدة له لم ينشر بعد يقول فيه :

يا غاديا لسفوح دجلة   حيث طينتها تشمُّ

واستاف الترب أو الطين أو العطر شمّه .

وتستمر القطعة حتى نهايتها في تبسيط نظرة الشاعر الى الحياة ، ومدى تخالفها ونظرات الكثيرين اليها .. فبينا يراها هو مرحلة محدودة المسافة والزمن والغاية ، ومطافاً يجبر المرء أن يطوفه بكل ما فيه من أوعار وسهول ، ومرتفات ومنحدرات ، وخير وشر وبينا يراها مفازة تتقاذف الناس وتساقطهم كما تنقذف النيازك والرجوم من النجوم .

وان للمرء فى هذه المفازة موعداً مع الموت من العطش لابد ان يدركه ان عاجلا وإن آجلا وان فيها الى جانب كل هذه المخاوف والمخاطر واحات خضراء ظليلة تعن للمسافر والمطوّف بين فترة واخرى ، ومكاناً يتهيأ له ـ للمرء ـ أن يقطف من قطوفها

ظنّـوا الظنـونَ بـــه وقالوا

عـقّ مـوطنَـــه وعـافـا

كذبوا ، وان كانـوا أصابـوا

من حروف « الصدق » قافـا

ما عـاف •• لكـن خـاف من

خلـقِ الفـواركِ أن يُعافـا

مـا انفــكَّ يـؤثـر حـرّةً

مـن طـينِ دجلة أن تُسافا

وثمارها ما شاء ، ذلك لان وراء هذا المطاف قبراً مظلماً ، ودوداً زاحفاً ينهيانه ويتسلمان فيه المطوف ليحيلاه ترابا .

بينا هو يراها على هذه الشاكلة ، ويحسبها على هذه الصورة اذ بالآخرين يحسبونها اياما وليالي تعد لتنقضي ، وخواء يسد منه الفراغ بالتكالب على حطام الدنيا ، وباثارات للجدل وللخصام ، وبتهافت شره على مطعم ومأكل وملبس ، وبالاجمال فعلى مظاهر زائفة لا تغني من روح ، ولا تسمن من ذهن .

ثم انه ليرى الحياة موتا مريراً ما لم تمازجها البهجة ويتراوح معها الحبور ، وهم يرونها اسفافاً في الهزل ، واحترافاً بغيضاً في الجد والعمل ، قدر ما يرونها معرضا لتصنع الجاه الكاذب يتصنعه كبش النطاح اذ يستهوي به الخراف التابعة له .

لكنّه عاف ابتعاداً

في المنازع واختلافا

وها هي القصيدة التي أجاب فيها الفريق أول الركن السيد « عماش » على الرسالة الملحة هذه نسبنا ايرادها هنا كاملة لما في ذلك من اتمام صورة واضحة للحوار ؛ وهي :

لاحِ سقانيها سلافا
ورمى بها غيداً لطافا
طابت « مملحة » بها
الابيات تقتطف اقتطافا
« نبئتَ أني اوسع الازياء
عتاً واعتسافا
« اقفو خطى المتانقات
كسالك الأثر اقتيافا
« وأقيس بالافتار أردية
بحجّة أن تنافى »
ودعوتني للمكرمات
لعون شعب أن يخافا
ورويت عن « فلك النجوم
مشى باكواب وطافا »
« الساحرات فمن يردك
ان يطرن بك اختطافا »
ونسيت اني لا اخاف الموت
بله غراب نازلة غدافا

هـو يحسـب الـدنيـا مطافـاً

كــان حتمــاً ان يُطـافــا

ادمي اِلـه الحـرب طعنـــاً

واقتحـــامـــاً والتفـافـا

من يـدم خاصـرة اللبـوث

اِذا انثنــت فينــا زرافــا

لا يخش خـاصـرة الغـواني

والمــآزر ، والـردافـــا

«والناهدات يكاد ما في الصدر

يختطـــف اقتطــافــا »

مـن يخطف الثمـرات فـى

صـدرٍ تجـلى أو تعـافـى

اِلا «على بابا» بزوراء العراق

مشـــى وطـــافـــا

« ودم الصليب عـلى الخدود

يكـاد يرتشــف ارتشافـــا

« علقـــن فى اوســاطهن

مـآزراً بيضـاً خفــافـا »

« ورددنهـن الى الظهـور

فـكـن اردفــة ردافـــا »

اِن تثقــل الأزرُ الظهـور

فتلـك مسـالــة تـلافـى

أوعـــاره وســـهـــولــه

يتمازجـــان بـــه ائتـــلافا

سـاءلت نفسـك لا تريـد

لهـــا عـن النحـو انصرافا

« أترى المضـاف اليـه أحلى

أم عـــلاقتـــه المضـافـا »

إنـــي أرى أن المضـــــاف

بـــه السعادة أن يضـافـا

بئس المتنبئ لـــم يـــرم

في الكذب للحـق انتصافا

عـوذاً بكـم أهـل الحجـى

أن تقبلوا الخطـأ الجـزافا

مـا كـان « عمـاش » يغيظ

الغيـدَ ، بل خطـأً تلافى

أوســعتــه للاجئـــات

ففـي غـدٍ تلقـى مطـافـا

من يـدر قـد نلجـا غـداً

ونلـف نرتجـف ارتجـافـا

لـــو طفـت فـي الاردن

أكبرت العـروبـة والطوافـا

ورأيـت ملتـاعـاً يمـــزق

جـرحـه منـك الشغـافـا

قفزْ تقاذفنا كما

تساقط الرجمُ انقذافا

فعلامَ نمرح والسويس

تدك بالنار انقذافا

للاجئات المقبلات

الطول أولى أن يضافا

« راشيل » تضربنا رصاصاً

دمدماً غدراً يافا

و « الموشي » يغترف الدماء

القانيات بها اغترافا

وشبابنا يتخنثون «خنافساً»

هوجاً ، عجافا

إنّا نريد مآثراً

لا قصر أردية كفافا

نبغي من النسوان تربية

البراعم والعفافا

سلها أيعجبها المخنفس

أن يزف لها زفافا

أم تعشق الأسد الهصور

الكفء ، والبطل المعافى

سلوفينسكي مرتاد السلافيين

أولى أن يعافا

لكَ موعدٌ والموت من

عطشٍ يُوافي ، أو يُوافى

وطباعنا في بعض ما

يجدون من طبعٍ تنافى

أخشى على فتياتنا

منه انسياقاً وانجرافا

أخشى على الجيل انهياراً

وابتذالاً ، وانعطافا

وذكرت عن صنع الاله

كما اشتهى هيفا لطافا

« وترى الجنان إذا خلت

منهن أولى أن تعافا »

إني – أبيت اللعن – اطلقها

اعترافاً ، واعترافا

أهوى خيال الفاتنات

وإن حوى سمّاً زعافا

أرنو لهنّ بلهفةٍ

وأكاد أترك ما تجافى

أفدي المضاف اليه إن

ترك العلاقة والمضافا

لكن ما يرضي الفضيلة

ذاك أحرى أن يضافا

واحب حسن الغانيات

يزين بالطهر العفافا

وبه من «الواحات» ما

يُدني لمقتطفٍ قطافا

ووراءه لحدٌ، ودودٌ

ينهيان به المطافا

وقد أجاب السيد الجواهري على هذه القصيدة، بقصيدة على رويّها وبحرها، لم تكمل بعد، مطلعها:

وفى له نذراً فوافى

بخريدة كرمت قطافا

ومنها:

مهلاً أبا المهدي - مهلاً

ان فى الحق انتصافا

مهلاً فان مفاخر النظراء

انصبة تكافى

خمسون حين الكهل طفل

كان يقطعها ارتسافا

واذ العروبة لفظة

جوفاء مرسلة جزافا

فجرت فى جنباتها

جسداً وروحاً وانعطافا

أذكت قوافيّ الجريحة

من فلسطين الشغافا

فـاذا بـدا نبـع لعينـك
فيـه فاغتـرف اغترافـا
وهـم يغـذون المطـاف
ويفسـدون بـه الطوافـا

ولقبل جيـل حيـن كان
الحـرف أتـربـة تسـافى
طوفت بـالاردن والجـرحى
وأحسـنت الطـوافـا
ولقطت منهـا الحشرجـات
وصغتهـا دمعـاً ذرافـا
شـعراً كـان عليـه نـيرانا
وصـافيـة سـلافـاً
كان الصداح أهـز أجيـالا
بـه كـان الهتـافـا
ومشـى الى دم الشـهيـد
يكـاد يرتشف ارتشـافـا
نـاغيت بـالـدم والهـوى
وبتلـكم النفثـات « يافـا »
انسيت اذ « حط الركابا »
فيهـا واذ لثم الضفـافا(١)

---

(١) اشارة الى قصيدة السيد الجواهري الشهيرة « يافا » والتي مطلعها :
بيافا يـوم حط بها الركاب
تمطر عارض ودجا سحـاب

يجدونـه جـدلاً ، ومتّجراً

ونبتـــاً ، واعتـــلافـــا

اذ راوحت غرف الجنـــان

لـه عـلى « اللد » السجافـا(٢)

واذا الجـراح عـلى قوافيـه

تقطـــرت انتـــزافـــا

انسـيت « اغنيـة الفـداء »

ومـن تنـاسـاهـا أحـافـا(٣)

---

(٢) اشارة الى أبياته من هذه القصيدة ـ يافا ـ التى يقول فيها :

ولـما طَبـق الارج الثنـايـا

وفتح من جنـان الخلد باب

ولاح « اللد » منبسطاً عليـه

من الزهرات يانعة خضـاب

نظرت بمقلة غطى عليهـــا

من الدمع الضليل بها حجاب

وقلت وما أحير سوى عتاب

ولست بعارف لمن العتـاب

أحقـاً بيننـا اختلفت حدود

وما اختلف الطريق ولا التراب

وما افترقت وجوه عن وجوه

ولا « الضاد » الفصيح ولا الكتاب

(٣) اشارة الى قصيدته الشهيرة « الفداء ٠٠ والدم » وهي القصيدة الثانية في هذا الديوان ٠

ويـرى الحيـــاةَ اذا خلـت

مـن بهجـةٍ مـوتـاً ذَعافـا

ويرونهـا فـى الهـزل اسفافاً

وفي الجـدِّ احتـرافـا

إذ كـل حـرف عندهـا

يشـكـو من الالـم الرعافا

* * *

مهـلاً اخي « عماش » قـد

اوجفت فى الدرب اعتسافـا

لا يصنـع الجيش اللهـام

وان أنـاف وان أخـافـا

فى الحـرب مـا أنا صانـع

اذ اوسـع الـرجـم انقذافا

أنا رب « حطين » و « يافا »

أنـا صاحب القلب المعـافى

* * *

مهـلاً أخـي « عمـاش »

وقيت التنازع والخـلافـا

أنا لست ابرح أحسب الدنيا

انطـلاقـاً وانـكشـافـا

وتصنُّعاً للجـــاه يستهوي

بـــه الـكبشُ الخـــرافـــا

وأرى النضـــال وملعـب

الخفرات أقـرانـاً ردافـا

من خـاف من حب الحيـــاة

تخـوف المـوت الذعـافـا

يابن الفراتين..

القي قسم منها في مهرجان الشعر التاسع ببغداد في شهر نيسـان عـام ١٩٦٩ .

وكانت القصيدة لم تكمل بعد لسبب مشاركة الشاعر في المؤتمـر قبيل انعقاده بثلاثة أيام فقط .

يـا ابن الفراتـين قـد أصغى لك البلدُ
زعمـا بأنـك فيـه الصـادحُ الغردُ

زعـمٌ بحسـبك منه الفخرُ ان صدقوا
أو لا فواجـدُ هـمٍّ بثَّ مـا يجـد

ولـن يهوّن بثٌ مـا تجيشُ بـه
وقـد تهونُ عـلى النفاثـةِ العقـد(١)

مـا بـين جنبيك نبـعٌ لا قـرارَ لـه
من الطـامـح يستصفي ويـرتفـد(٢)

اذا تخلصـتَ من هـمٍّ أطحت بـه
شـبت همـومٌ عـلى انقاضـه جـُدُد

(١) النفاثات في العقـد الساحرات اللواتي يعملن سحرهن في العقـد المشدودة فتنحل من نفسها امعانا منهن في القدرة على السحر، ومعنى البيت : مخاطبة الشاعر نفسه بانه مهما استعان بالشعر عـلى بث همومه ، فان هذه الهموم أضخـم وأكثر من أن يهوّن منهـا البث والنجوى ٠

(٢) معنى البيت وتاليه استمرار للبيت قبلهما وتبيين : ان بين جنبي هذه النفس الشاعرة نبعاً عميق الغور لا نهاية له من المطامح العليا وان هذا النبع يظل أبدا يستسقي ينابيع اخرى بمنزلة الروافد له ٠

كأنّ نفسَك بقيا انفسٍ شَقيت

وكلُّ ذنبِ ذويها أنهم وُجِدوا(٣)

وانهم حلبوا الايام اضرُعها

حتى اذا محضتهم درّها زَهِدوا

فاضت على الكرة الجوفاء وانطلقت

تُوفي على عالم أوفى وتقتعد

مشعشعات وليلٌ حولها طبقٌ

وطاهراتٌ ورجسٌ دونها نضْد

---

(٣) هذه القطعة ابتداء من هذا البيت حتى البيت :

وانهم خرجوا منها بأفئدة من الاسى ، والاذى ، والحب ، تفتاد

وصف لهذه الزمر من ذوى النفوس الكبيرة الطامحة ، والمعذبة التي تجيء الى الدنيا مرغمة فتشقى وكل تبعتها فى تحمل ذلك محض كونها قد وجدت · وان هذه النفوس تظل ما عاشت تهب الحياة الخير ، والرقة ، والحب ، والاشعاع ، ولا تأخذ منها غير العذاب ، والالم ، والجراح النازفة ، وانها تعيش هذا العمر المفروض عليها وكأنها غريبة عن كل ما حولها ، وشريدة فى ارجاء العالم الفسيح · وانها وهي كذلك لتفيض على هذه « الكرة الجوفاء » على هذه الدنيا ، سعة وانتشارا لانها أكبر منها ، وانها « توفي » على عوالم من صنعها وتخيلاتها أوسع وأوفى ، لتأخذ محلها ومكانها منها ·

اعتفد : أغلق عليه بابه ليموت جوعاً ·

يرتـاد في سـوحهـا كونٌ بأجمعِـه
وما لهـا سَبَدٌ فيـه ولا لَبَـد

ويستقي دمَهـا جيل ويُنكِـرهـا
ويَغتـذي روحهـا خلقٌ وتعتقـد

وأنهـم خـرجـوا منهـا بـأفئـدة
من الاذى والاسـى والحب تُفتـأد

وأنهـم وقـد التاثت عقـائدهـم
زيفـاً ومحضـاً أدانوا كلَّ ما اعتَقدوا!

* * *

يـا ابن الفراتـين لا تحـزن لنازلـة
أغـلى من النـازلات الحـزنُ والـكمد(٤)

---

(٤) فى هذه القطعة حتى البيت :

فى ذروة المجد لا يصبيك منحدر ولا يروقك منه ساحل نجد

يثبت الشاعر نفسه · ويوطنها على تحمل المكاره ، والشدائد ، وعلى

دوح الرجولة لا تلوي الريـــاح بـه
لـكن تُنفـض أوراقــا وتُختضـــد

مجابهة مآسي الحياة ، ومهازلها ، وتناقضاتها بكل ما يعهده فيها — أى فى نفسه — من عزيمة ، وجلد ، وثبات .

كمــا يوصيهــا الى ذلـك ان تكبت فى نفسهــا مــا تجيش به من أثر الصدمات ، ووقع الآلام . وهو يقول بهذا الصدد : ان التأسي تكلف الا أن ينفي عنك الاسى ، وان التجلد ، وهو تصنع ، شيء والجلد ، وهو طبعي ، شيء آخـر . والشاعر يوصي نفسه ان يكون جلدا . والا فان يكون أسيا اذا اقتضى الامر .

ويخرج من هذا الى القول بوجوب الصراحـة فى القـول ، وفى المجاهرة بالرأي ، وبضرورة الصدع بكلمة الحق ، مهما كان عقبى ذلك . والى التشديـد على عدم التصنع فى الحرف ، وفى الـكلمـة وهو يرمز الى ذلك — من باب العكس والطرد — بما يتمناه الرجل على المرأة الحامل — وهي هنا طبيعة النفس وجوهر الارادة ، والفكرة المعتملة — من شكل المولود الذى تضعه ، ومن جنسه ، ناهيا عن ذلك ، أى عن أن يقترح الشاعر الموهوب شكل الفكرة ، أو الاسلوب أو نوعيهما ، دون الاهتمام بجوهرهما . وآمرة عـلى العكس من ذلك بتركهما حرتين ، يلدان ما يشاءان .

والبيتان الاخيران تحميل الشاعر نفسه ما تخاطر به من قول أو من عمل يصدع بهما ما تالفت عليه الحياة أو المجتمعات من قوالب ، ونماذج ، وصور ، ويشبهها بالبحار المخاطر المجازف الذى يتعمد أن يركب البحر هائجا ، مائجا ، عاصفا ، بل وحتى ان لا يقذف به الموج العارم الى الساحل الامين الذى يكون — عادة — من أعز أماني المبحرين .

وهو يضيف الى ذلك ان الشاعر يحمل بين أضلاعه الد خصومـه ، وأشد أعدائه ، ويريد نفسه وهواه .

ولا تلـذ بتعـلات مسـوفـة
ولا يكتّفـك صبـرٌ حبلُـه مَسـد
فمـا التأسي اذا لـم ينف عنـك أسـى
ومـا التجلـدُ ان لـم ينفـع الجلـد
لم يبق امسُـك من عقبى يَـلذ بهـا
يـومـاكَ ان شـقيقَ الطارفِ التلـد
وخـل نفسَـك تجـرد من أعنتهـا
رسلا تَراوح ، أو تشـتد ، أو تَخـد
فان أفظـع مـا في الكون مضطهَـدا
خوالج فى حنـايا الصـدر تُضطَهد
ومـا ضمـانـةُ قـول لا شـفيـع لـه
مـن الضمير ولا من ذمـةٍ سـند
ولا تحـاور بمـا استصفيت معتقـدا
ولا « كيف » و « ماذا » رحت تعتقد

ولا تغالط فقد أغناك زخرفةٌ
من قبل الفين فيما صاغه « لبد »
لا تقترح جنسَ مولود وصورتَه
وخلّها حرةً تأتي بما تَلد
وقل مقالةَ صدق أنت صاحبُها
لا تَستمنْ ، ولا تَخشى ، ولا تَعد
وما تخاف ، وما ترجو وقد دلفت
سبعون مثل خيول السبق تطّرد
لا ترهق الدهر عتباً أو مخاصمة
ففي دمائك خصمٌ كلّه لَدَد
ركبت اثباجَ بحر جُنَّ عاصفه
ليلا ، فنوتيُه بالنَجم يعتضد
في ذروة الموج لا يصبيك منحدر
ولا يروقك منه ساحلٌ نَجد

* * *

أمس استضافت عيوني فيالكرىشبحا
به تلاحمَ أمسٌ مشرقٌ وغد(٥)

---

(٥) استضافت عيوني فى الكرى شبحا : كناية عن الطيف اذ تنطبق

ناشدتُه وعلى أثوابه علقٌ

من الدماء ، ومن جباتها زرد(٦)

ووجهُه كشعاع الفجر منطلقٌ

وعينه كوميض الجمر تتقد

عليه العيون فكانها تستضيفه . والشبح المقصود – كما سيتوضح ذلك – هو شبح الجبار العملاق ابن الكوفة الحمراء ، أبي الطيب ، أحمد بن الحسين المتنبي . وتلاحم الامس المشرق والغد يراد به تلاقي الحضارة والتراث العربيين في أعز العصور العباسية – وآخرها كذلك – انتاجا ، واستواء في الفكر ، والرسالة ، والعلم ، والادب . بما يتوقع منها في الغد العربي المشرق ، عبر أشعار المتنبي ، وعبقريته ، وشخصيته العملاقة ، والتي كانت – وما زالت – تعتمل وتتفاعل على ممر العصور مهيبة بالامة العربية أن تسرع في تكوين شخصيتها ، وان تتخلص من اوضار المجتمعات المتخلفة ، ومن شوائب الانظمة الفاسدة ، ومن تحكم الافراد ، ومن سيطرة الاجانب .

(٦) العلق هنا الدم الشديد الغليظ والمتيبس منه على وجه التخصيص ، والزرد هو الدرع – المزرودة – ذات الزرد والحلق ، وفي البيت تشديد على هيئة الشبح – شبح المتنبي – المصبوغة بالدماء . ذلك ان المتنبي قتل وهو في طريقه من – شيراز – عاصمة البويهيين أيام أعظم ملوكهم شأنا « عضد الدولة » الى بلدته الكوفة ، وكان مقتله على يد « فاتك » ، لسبب يكاد يكون سرا مجهولا حتى الآن . وذلك بالقرب من دير العاقول على نهر الفرات .

وفيــه تأليفــــةٌ من هيكل عجب

فيــه الحمامــةُ جنب النسـر تتحـــد(٧)

أنا ابن « كوفتك الحمراء » لي طنبٌ

بهـا ، وان طـاح من أركانـه عمـــد(٨)

جــوار كوخكَ لا ماءٌ ولا شــجرٌ

ولصقُ روحك لا مالٌ ، ولا صفـد

ولا شكـاةٌ أيشكو السيف منجـردا ؟

لا يُخلق السـيف الا وهـو منجـرد

---

(٧) فى البيت اشارة الى ما تجمع شخصية المتنبي العظيم من سماحـة النفس ، وصفاء الضمير · وهو ما اريد تشبيهه بـ « الحمام » ومن قوة الشكيمة ، وصلابة العود ــ الى جانب الغضب الخلاق ، عـلى تدني الطباع ، وتردي النفوس ، وتعاسة المجتمعات العربية وهو ما قصد تصويره بـ « النسر » ·

(٨) .البيت اشارة الى مجاورة السيد الجواهري منشأً ومسقط راس ، وموقع دار لابي الطيب « المتنبي » وذلك لان النجف لصق الكوفة وعلى بعد مسافة قريبة جدا منها ·

والعجز من البيت تعبير عن أن الطنب الذى ينزله الشاعر ــ ويريد به بيته ــ فى الارض المشتركة بينهما قد أطاح الزمن بعمد هــام من أعمدته الا وهو المتنبي نفسه ·

خبّت بنا فارعاتُ الجو نُوسعها

ذرعاً ، وخبّت بك الزيافة الأُجُد

* * *

فكن أبا « الطيّب » الجبار لي مددا

ولي بما صغت من « جبارة » مدد(٩)

---

(٩) والقطعة حتى البيت :

وكان «كافور» فردا تستقيم له   واليوم شتّى «كوافير» وننفرد

استعراض ونقد وتحليل للعالم العربى الذى عاشه المتنبي ، ومجتمعاته وأنظمته ، وجبلات النفوس فيه • وتركيز على وجوه مقارنات عديدة ، واليمة كذلك ، بينه وبين العالم العربى اليوم الذى ينوء بثقل باهظ من رواسب العصور المظلمة ، ومن مخلفاتها ، ومن أنظمة الحكم شبه الفردية فيها ، ومن عقد النفوس ، واختلال الطبائع ، وضياع المقاييس •

و « ابن عباد » هو الوزير المستبد ، والاديب الضليع ، وصاحب الرسائل المنسوبة اليه • الصاحب بن عباد ، أمير العراق ، والمتصرف المطلق في شئوونه وكان من ألد أعداء « المتنبي » لمحض انه تمنع باباء عنيد عن مدحه وان ببيت واحد من الشعر بالرغم من استماتة «الصاحب» في هذا السبيل ، فكان من ذلك ان أغرى به كل شعراء بغداد ومتشاعريها ، بشتمه ، وقذفه ، شتما وقذفا فظيعين وفى رواية انهم كانوا نيفا وأربعمائة شاعر وشبه شاعر •

و « كافور » هو الاخشيدي أمير مصر ، وبر الشام ، الذى قال فيه المتنبي غررا محجلة من قصائده بادىء ذي بدء • ثم برم به

يـا شـاغلَ الدهـر أجيـالا وأحقبـة

ومتعب الناس من ذمّوا ومن حمدوا

ويـا معـرّي اطبـاع ومـا خبـأت

ويـا محطـم أصنـام ومن عبـدوا

علـى الوجوه مشـت اكذوبـة عرض

وقر تحت الجلـود الجوهرُ النكـد

الغـائصـون الى الاذقـان في وحـلٍ

ويزعمـون ريـاءً أنهـم سَعُـدوا

وبتجبره ، وبخله ، وبحبسه اياه بين الحرمان فى الاقامة ، والمنع عن الترحل ، حتى كانت الفرصة السانحة للمتنبي ليلة عيد أضحى شغل بها كافور ، ورجاله ، والناس أيضا عن كل شيء الا بمهرجانات العيد ، وأفراحه فانسل المتنبي فى جنح الليل هاربا ، سالكا دروبا وعرة ، مجهولة ، سالما بنفسه ، وعندئذ ، وابتداءاً من مرحلة الهرب هذه ، ابتدأ يسلق « كافور » بما لم تسلق بـه الديكة الروميـة من حرارة وقوة وفوران .

وقصائد المتنبيء هذه فى « كافور » يدوي لها الزمن والاجيـال ، علما بأن « كافور » هذا ، وقد استزله المتنبي الى أسفل الدركات ، كان واحدا من أعلام ثلاثة يختصون بلقب « الاستاذ » لعلو مكانهم فى العلم ، والادب ، والشعر ، والسياسة وهم : الصاحب بن عباد ، وابن العميد ، وقد مدحه المتنبي أيضا و « كافور الاخشيدي » هذا .

أقسمت أنك عملاق به غلق

لا الارض عن سره تنبي ولا اللحد

يدٌ « لفاتك » كانت آلةٌ رُفعت

وراءها خُبئت من آخرين يد

تبطنتها لتُخفي من ذكاوتها

اسطورةٌ لم ترق حتى لمن بلدوا

أبا « محمَّد » دنيا رحت تمخضها

فما تلقف الا ما نفى الزبد

أشرف عليها تجدها مثلما تُركت

كأنها من رسوخ مثقل « أُحُد »

أحكمةٌ ، أم وقارا ، أم مكابرة

لم يدر ذلك الا الواحد الصمد

تَبني وتهدم ما تَبني كما انتقضت

خرقاء يُعكس ما حاكت ويطَّرد

مشت بها جاهلياتٌ ، وعنجهةٌ

ولات منها النفوسَ الثأرُ والقَوَد

الف ، مضت و « ابن عباد » بها أحد

والیوم الف « ابن عباد » ولا أحد

وكان ان لم تهبه مدحة حردا

واليوم من نغتلي في مدحه حرد

وكان « كافور » فرداً تستقيم له

واليوم شتى « كوافير » وننفرد

على الهوامش أصفار مجمدة

كما تراكم حول الحافة الجمد

فذو العقيدة مشتوم ومتهم

وذو المواهب محروم ومضطهد

ان يسكتوا يخطف « الخفاش » نورهم

ويسمعون بذاءات اذا انتقدوا

نحن الغريران في دنيا بها صبب

في المعطيات بنا عن مثله صعد

رغادة وادقاع قسمة ضنك

ضيزى لمن زرعوا فيها ومن حصدوا

حتى انبرينـا فجئناهـا بثالثـة

ان الشـقـاء اذا استعلى هـو الرغـد

* * *

وقـائـل لـو أرحت الشـعـر قـافيـة

بهـا عروقـك راحت وهي تفتصـد(١٠)

---

(١٠) فى هذه القطعة حتى البيت :

فكل ما وهبوها انها عمرت وبعض ما وهبتهم انهم خلدوا

يشيد الشاعر بعظمة الشعر العمودي « الكلاسيكي » الاصيل وبروعة « القافية » وبعذوبة السجع الموسيقي فيه ، وبأصالة الحرف ، وبناء الكلمة ، تبعا لالتزام الترابط فى البناء وفى الاداء ، وفى مراعاة الانسجام ٠

ويجرد الشاعر ، فى معرض الدفاع عن كل ذلك ، حوارا بينه وبين قائل متسائل ، عما اذا لم يكن من الاروح والاحسن ، لو انه وفر على نفسه عناء القافية ، ومشقة البحر ، والوزن ، وهما مدعاة جهد وتعب تركا طابعهما على وجه الشاعر وعلى ملامحه ، وعلى الغضون المتحفرة فى جبينه ٠ وهو يرد على ذلك ، بأن هذا « الشعر » ما هو مجرد « حرف » تمشي النغم فى طياته ٠ وما هو محض « فكرة » توهجت بخيال ملهم كما يبدو للمرء لاول وهلة ٠

ولكنها ـ وعلى الاقل فكما يراها الشاعر نفسه ـ أكثر من ذلك ، انها ـ القوافي ـ فى حقيقة الامر ، محاريب «مقدسة بتجسيد الايمان، والفكرة ، والمعتقد ، أى ان القافية لشدة تركزها ، وعمق تأملها تكون اطارا مبرزا ٠ ومعبرا ، ومجسدا للفكرة التي يرمي اليها

غطت جبينك أعراق مغضنة
وطاف في وجنتيك الجهد والسهد

ولو تخلصت من « دال » واخوتها
وراءها راحت « الدالات » تحتشد

أريته أن بي من أمرها عجباً
فلا صدود ولا بعد ولا صدد

غرائب ورحاب الارض مطرح
وشرد ، وقلوب الخلق متسد

تدنو وتبعد من تلقاء فطرتها
خلاف ما عودته الانس الخرد

توقد النفس اذ تشتف طلعتها
وتستحيل رمادا حين تفتقد

ويرقص القلب في أضلاعه طرباً
بها • وتمشي على مهل وتتئد

الشاعر في كل بيت أو مقطع من أبيات القصيدة ومقاطعها •
ثم يستمر الشاعر فيصف المعاناة الشعرية ، فى معرض وصفه لاوقات سنوح الفكرة – مجسدة بالقافية – وفى الهيئات التى تظهر بها ، والحالات التي تكون عليها •

حرفا تراها مشى فى طيه نغم

وفكرةً بخيال ملهم تقد

بينا أراها محاريبا مقدسة

بها تجسد ايمان ومُعتقَد

عمر النجوم مسافات واقيسة

وعمرُها وهي في ريعانها أبد

لم يجز غر القوافي من لها نذروا

نفوسهم ، وان اشتطوا ، وان جهدوا

فكل ما وهبوها انها عَمُرت

وبعض ما وهبتهم انهم خلدوا

* * *

خُبّرت للنثر في « بغداد » مؤتمرٌ

زهو ، وان ندي الشعر محتشدٍ (١١)

---

(١١) فيهذه القطعة تحية الىمؤتمرالادباء، وحوار معالشعراء، والكتاب، فيه عتاب على تجاهلهم فى كل المؤتمرات التي ساهموا فيها أعواما طويلة زمرة خيرة من أحرار العراق وشعرائه وادبائه ممن شردتهم الطغمة الحاكمة أواخر عام ١٩٦٣ عن وطنهم وأسقطت عنهم جنسياتهم

وان من مشرق الفصحى ومغربها
زهرُ النجوم على الشطين تنتضد
فقلت ليت نديَ الحب يجمعنا
سيان مقتربٌ منه ومبتعد
وليت يلتمّ شملٌ كله كِسَرٌ
وليت ينضم قَصْدٌ كله قِصَد
يا قادةَ الفكر لو لموا صفوفهم
وذادة الشعر لو لم يكثر العدد
وصاغةَ الحرف لو لم يغش رونقه
زيفٌ ، ولم تمش في مخضره عُقَد
تضاءلوا في ملاءات تُخاط لهم
ولو يشاؤون في سَمٍ لها نفدوا
وعقدتهم حزازات ولو خلصوا
أملوا على الدهر ما حلوا ، وما عقدوا

وفيهم من ضبقت شهرتهم الآفاق العربية وتجاوزتها .
والشاعر يوضح هذا العتاب المرير أشد توضيح مما يغني عن الشرح الكثير .

أكل عـامين يمسـي شملنـا بـددا
ويختمـــان بأسبوع وينعقـــد
ونسـتـديـر الى عـامـين بعـدهمـا
والشـمـل منـا ، وممـا نرتأي بـدد
مـا أن نبـالي بأن نُرضي بـه أحـدا
ولا يبـالي بـأن نَـرضى بـه أحـد

* * *

ويـا جـديرين بالحسنى مطـارحـة
في كل ما انتقَدوا منها ، وما انتُقدوا
لا تغضبـوا ان في عتب محـــاورة
وان في القـول اصـدارا لمن يـرد
سبع رمتنـا ولـم نجـرم بقـارعـة
كانـنـا من رعيـل مجـرم طَـرد
وخلفنـا مـن أحـاسيس وأفئـدة
عطشى مـلايين لا تُسقى ولا تـرد

تدعـو كـم أن تذبوا عنهـم جنفـا

يا مسرفين ، وان بالحرف يُقتَصـد

فمـا استـدار فـمٌ منكـم ولا قلـمٌ

ولا تقطـر مـن بحـر الندى ثمـد

صبع عجاف ، وقد كن السمانَ لـكم

فيهـا اللهـا واللهى ، والجاه ، والرغد

عـلى المـوائـد أكـوابا وأطعمـة

مـن شـاء يحترّ أو من شـاء يتـرد

* * *

وصـاحبٍ لي لـم أبخسـه موهبـة

وان مشـت بعتـاب بيننـا بُـرُد (١٢)

---

(١٢) فى هذا المورد حتى البيت :

بيني وبينـك أجيـال محكمة   على ضمائرها فى الحكم تعتمد

يغمز الشاعر من عود أديب عربي معروف شارك فى مؤتمر الادباء هذا ، والقى فيه كلمة اتهم فيه شيوخ الشعر الراسخين ، وتزلف الى الشباب والناشئين • ولو أن هذا القول ــ على سذاجته وعفويته ــ كان بريئاً لهان الامر • ولكن الامر على العكس • والى هذا المعنى

نفى عن الشعر أشياخا واكهلة
يزجي بذاك يراعا حبرُه الحَرَد
كأنما هو في تصنيفهم حكمْ
وقوله الفصلُ ميثاق ومستند
وما أراد سوى شيخ بمفرده
لكنه خاف منه حين يَنفرد
مهلا رويدك لا تُبعدك موجدة
عن السبيل سواء نهجها جَدَدَ

يشير السيد الجواهري بقوله : « يزجي بذاك يراعاً حبره الحرد ٠٠ وبقوله :

وما أراد سوى شيخ بمفرده لكنه خاف منه حين ينفرد

أي ان الاديب العربي المذكور عندما نفى الشاعرية عن شيوخه ، لم ينتصب أمامه الا شيخ واحد ليس الا ٠ وهو الجواهرى نفسه ٠ وذلك بحكم كونه الوحيد الذى يشار اليه ، فى هذا المجال ، بوصفه أبرز الشعراء الكلاسيكيين الشيوخ ٠

أما عدم براءة هذا الحكم ٠ والتي عناها الشاعر بقوله :

وان مشت بعتاب بيننا برد ٠٠ »

فلها حكاية يمتد تاريخها الى ما قبل ثلاث سنوات على وجه التقريب ، عندما كان الشاعر فى منفاه ٠

بيني وبينك أجيالٌ محكمة

على ضمائرها في الحكم يُعتمد

قالوا أتتك حريفاتٌ بملأمة

فقلت : الفُ كريم قبلها يفد

أسلمتُها لعيونِ الناس تخزرها

خزرَ الصقور فتستثني وترتعد

تطاولَ القاعُ حتى استقعرت قممٌ

واستأسدالغيُ حتى استنوق الرَشَد

واستنفر البائعون الروح شاريها

فهم لكل يد مجذومة عضد

في الشعر من فرط ما احتكوا به دَبَرَ

كما تأكل عظم الناقة القَتَد(١٣)

(١٣) « القتد » وجمعه أقتاد وقتود خشب الرحل يكون على ظهر الناقة . والضرباء او الظربان وجمعه ظرابي بتشديد الياء ، وظرابين دويبة بحجم « ابن عرس » تعيش فى الاجحار ، ولها رائحة شديدة النتونة وفى المثل العربي : ـ فسا بينهم الظربان ـ أى تنافروا وتباغضوا . و « القرد » و « القردان » جمع قردة و « قراد » دويبة صغيرة من

تشكت « الضاد » مما ينزلون بها
كما اشتكى الجسم مما تفرز « الغدد »
في لفظه ظربـاء من تقيحه
وفي معانيه من أنفاسهم قرد
نجوا بزعمهم من اسر قافية
والشعر لولا أسار نثرة قدد
ان الجمال « اسار » عز مطلبا
هل يحزن الغيد أن قد اسرف الغيد
أم يفرح الظبي ان لا يزدهي حور
في مقلتيه ولا في جيده جيد

فصيلة « القمل » تتعلق بالمواطن الحساسة من « البعير » والكلب ونحوهما .

والمقصود هنا في البيتين التعريض بالشعر المنحل الركيك الذى يتعاطاه نفر من المتشاعرين بدون عناية بأسلوبه ، ولا رعاية لمضمونه، ولا التزام بسجعه ونغمه ، وبدون رصيد سمين من التراث العربي الاصيل . وانه لفرط ما يجار على تراكيبه ، ولشدة ما يأكل لفظه المتكلف ، من معانيه الهزيلة ، ليشبه ظهر الناقة المتاكل من فرط ما يعض القتد على عظامه ، وانه ليبدو وكان فيه « ظربانا » يفسد من نفسه و « قرادا » يمتص من دمه وروحه .

وحاشدين خشار القول بعتُهم
بخسا ، وأبخسُ منهم كان ما حشدوا(١٤)
الخاملون اذا استنهضتهم غضبوا
والضالعون اذا قومتهم حقَدوا
والمستطيرون غربانا مفزعة
حتى اذا عنَّ صداح فهم حُشُد
والمطعمون سعير الحقد لحمهم
لا بارح العظم ذاك الحقد والحسد
والمجهزون على الجرحى كأنهم
رُبدُ الذئاب اشتفت أن جرِّح الاسد
يغيظهم أنَّ في يافوخه شمما
وأن تناثر عن اكتافه اللَبَد
وانه وهموم الغاب تثقله
لا كاهل خان متنيه ولا كتد

* * *

(١٤) « خشار القول » : فضلته والرديء منه .

يا شاتميّ وفي كفي غلاصمهم

كموسع الليث شتما وهو يزدرد

وعاضضيّ وفي أفواههم شلل

ارخى الشفاه ، وفي أسنانهم درَد

اتلطمون جبينَ الشمس أن قذيت

عيونكم فبها من ضوئها رمد

أم تفرغون مياه البحر أن نضبت

حياضكم فهي نزد ، موحل ، صرد

يا بن « الركائك » والايام هازئة

بمبتين على ما استفرغوا جَمدوا(١٥)

---

(١٥) الركائك « جمع ركيكة ، ويراد بها هنا السفساف الركيك من الشعر ، والنسبة اليه زيادة في الانتقاص من المنسوب ، والخطاب يجوز أن يكون الى متشاعر معين بذاته . كما يجوز أن يكون مقصودا به كل واحد من هؤلاء المتشاعرين على حدة .

والقطعة حتى البيت :

ما ضر من آمنت دنيا بفكرته ان ضيف صفر الى أصفار من جحدوا

تنديد في معرض الدفاع ـ بنفر من أدعياء الشعر والادب ، تعرضوا للسيد الجواهري في الآونة الاخيرة ، وتهجموا عليه تطاولا واعتداء .

ما ضرَّ من آمنت دنيا بفكرته

ان ضيف صفر الى أصفار من جحدوا

* * *

ويا فتى المغرب الاقصى به نُذُر

للشرق ، لا زيغ فيها ولا أود(١٦)

---

(١٦) المراد بـ « فتى المغرب » مندوب المملكة المغربية الى مؤتمر الادباء ببغداد ، وكان قد القى كلمة قيمة لاقت استحسانا واعجابا حمل فيها على كتاب « المشرق العربي » فيما يتهمون به « المغرب » جهلا وظلما ، بتقاعسه عن معركة المصير فى فلسطين ، وعن التجاوب مع الاصداء العربية فيها • وقد دافع السيد « المغربي » دفاعا مجيدا عن الشعب العربي فى المغرب • وبخاصة عن مفكريه وطلائع الحركات الفكرية فيه • ونسب الاحكام الجائرة التي يطلقها الكتاب والصحفيون فى المشرق الى الارتجال ، والجهل ، والتسرع • والشاعر فى هذه القطعة ينتصر فيها للمغاربة ويقول للاديب المغربي مهونا عليه : ان ما ينقم منه ، من كل ذلك ، يبتلى به ادباء المشرق العربي فيما بينهم أنفسهم ، فهم مرمى للمطاعن ، وغرض لسهام الشتائم ، وموطن للتجالد والتعارك والتطاحن وفى البيتين :

يا بن « المغارب فى أعماقنا بشر

اسيان ، غرثان ، خب ، ناهز ، حرد

من كل « موءودة » لون كان بنا

مستنقعا عفنا من فرط مائتد

يكني الشاعر بهذا « البشر » السيء ، الخبيث ، الكامن في أعماق المجتمع العربي عن العقد النفسية العديدة ، والضارة المتراكمة على

سمعتُ صرختك الغضبى فخلتُ بهـا
ما يبعث الغـاب اذ يُستزأر الاسـد
تنعـى علينـا بـأنـا في عـواطفنـا
عـلى الاظانين ، والتشكيك نعتمـد
وان أحكـامنـا فيمـا نشـطّ بهـا
بتراء ، لا نصف فيهـا ، ولا سَدد
هـون عليك ففيمـا بيننـا أبـدا ،
نحن المشارقَ ، نستضري ، ونَجتلد
يـا بن المغـارب في أعمـاقنـا بشـرٌ
أسيان ، غرثان ، خب ، ناهز ، حـرد
عن كل موؤدة لـونٌ .. كأن بنـا
مستنقعا عفنـا من فـرط مـا نئـد

النفوس ، والتي يبقى أثرها في كل تصرفات الافراد والجماعات .
ويقول انها مردودة ، في الحقيقة ، الى كبت الاحاسيس ، والمشاعر ،
جراء فقدان الحريات الشخصية ، والاجتماعية ، وبسبب من شيوع
الحرمان ، وتأصل الحزازات ، وسيطرة القسوة ، والعنف ، والاثرة ،
ومن وراء ذلك ضياع المقاييس ، وتهاوى الموازين .

يا بن المغـــارب : مثل النجم متقـــدا

يُرى مشعون انّى استوطنوا اتقـدوا

لا يبْعـــدُ النـأي عـن حب أحبتــه

ضـوء العيــون لصيقٌ وهـو يبتعـد

* * *

دعوا الى الوحدة الكبرى فقلت لهم :

نـذرٌ لذلك مني الـروح والجســـد(١٧)

---

(١٧) فى هذا المورد حتى تمام القصيدة استعراض شامل للمرحلة الشاقة التي تلف العالم العربي بأجمعه ، وعلاقة كل ذلك «بالوحدة الكبرى» التي تغفو وتستيقظ ، ثم تغفو أيضا بين الآونة والآونـة ، وبـين البواعث والبواعيث ، واشارة الى فقدان هذه الوحدة التي ينذرالشاعر لها روحه ، وجسده ، ويناغيها منذ خمسين عاما ، ركائزها الاصيلة ، ومقوماتها الضرورية ، وأهمها تجاوب الشعوب العربية معها تجاوبا ينبعث من أعماق وعيها من جهة ، ويستند الى تعاطفها جماهيريا ، جذريا ، وليس تعاطفا ، دعائيا ، واعلاميا محدودا ، وعلى صعيـد رسمي ضيق • ويرد ذلك كله ، الى أنظمة دمقراطية سمحة وأصيلة يكون قوامها الجماهير « المسودين » فى كل ما يردونه ، وفى كل ما يصدرون عنه ، وليس ارادة الحاكمين « السادات » •

ثم يستمر الشاعر فى تعداد مهام هذه الوحدة المنشودة ، بوصفها وحدة صادقة ، ومكينة الجذور ، وفى قدرتها المتوقعـة على صد ما يحاك للوطن العربي الاكبر من مؤامرات ، وما يفتح له من جبهات ، وما يخطط له من مصائر ، ولا يفوت الشاعر ان يذكر « المغالين » فى

خمسين ظلتُ اناغيها كما نغمت
ام الوليد يناغي عندها الولد
ولا مباهاة أهلي كلهم رضعوا
منها اللبان ، وفي أحشائها لحدوا
فان سألت فعن شوق لموعدها
كعاطش يبتغي وردا فلا يجد
هاتوا بها علّ أن يُستصلح الجسد
فقد تقطع عن انياطه الكبد
ففي فلسطين خيل الرجس مُحكمة
رباطها وببيت « المقدس » الوتد
وقد أطالت سياط البغي جلدتها
يُشوى بها جلد أحرار وتُعتبَد

استعمال هذه الوحدة ، وفى قيامها للمرة الثالثة ، بارتجال وعفوية ، واندفاع ، بما كان لهم ولغيرهم من تجارب مريرة بشأنها فى أمس قريب ، وقبله فى أمس الاول منه كان حصادها « شوكا » عن زهر ، وكان نتاجها « حنظلا » عن شهد !!

وفي الخليج أساطيـل مـداخنهـا

طلعُ الشياطين علّى ريث يُحتصـد

تقيء حقـدا عـلى واعـين تحذرهـم

يحدون صرخـة ايقاظ بمن رقـدوا

مـا أتعس الجـار لا يعطي بضائقـة

حسن الكفاف اذا لم يُحسَن الرفـد

* * *

هاتوا بها علّ دوحـا جـف يرتعـد

وعلّ شـوكـة ذل فيـه تُختضـد

وعـل عـار « حـزيـران » ووحشـتـه

ترفضّ عنها الليالي الحلَك الرُبُـد

في كل دار بما يُستام سـاكنهـا

عـلى الجبـاه غبـار المـوت منعقـد

يَستوحشون مِن الارض التى نزلوا

ويَخجلـون من المـاء الـذي وردوا

تلمس الا صعدُ الشماخ عن انف

عرنينه ونبا بالاصيد الصيَّد

فليس للعربي اليوم من وطن

ما ظل غاوون عن أوطانهم طردوا

هاتوا بها علَّ في فدي مشاركة

لا يفتدى غيَّبٌ عنه بمن شهدوا

وعلَّ فيض الدم الخلاق مكتسح

يلف من رغبوا فيه بمن زهدوا

ذُم التسرف الا فى دم سرِب

يحمي الحمى ، مُستذم فيه مقتصد

* * *

هاتوا بها علّها تُحدى بأنظمة

على المسودين لا السادات تعتمد

فما يزال على الاحرار في بلد

وآخر ، وعلى أنفاسهم رصد

علـى الحـدود أضـابـير لمن صلحـوا

من ثائرين عـلى ظلم ، ومن فسـدوا!

نـذاد عـن وطن عشـنا مصـائـره

كما تُذاد عن « المزروعة » النَقَد

أقـول للقـوم غـالـوا فـى رغائبهـم

حتى تخـالـط جـدٌ منهـم ودد

نصح لكم محضه حلوا - وخالصـةٌ

لي المـرارةُ - منـه العـذل والفنـد

لا تقبسـوا جمـرة العجلان واتئـدوا

فطـالمـا سبـق العجـلانَ مُتئِـد

ولا تملوا فمـا اليوم العتيـد لـكـم

بـوعـد صدق اذا لـم يصدق العتَد

بالامس اذ أجهضت سـقطا ولادتُه

والامس كالغـد مرهـون بمـا يلـد

جربتمـوها فأجلى الشوكَ عن زهـرٍ

نتاجهـا وأجـر الحنظـل الشـهَد

وذاك ان لم يكن فيما يراد بها
على الجماهير من أمر فم ويد
بل وازدرى المؤمنون الوعد منتجزاً
صدوقه فرط ما غُروا بما وُعدوا
جيل « تمدد » مهزوما وقد وُعدت
بالنصر خمسا وعشرينا به المُددَ
جيل يُمطط بالبلوى فأصبية
به شبابٌ وكهال به قعَد

* * *

قبل التوحد قد يُلوى به الامد
دعوا الجيوش بخيل الله تتحد
من كل بيت خذوا مستبسلا بطلا
وجندوه يته زهوا به العدد
وأركبوهم طريق النصر خافقة
أعلامه وفسيحات بها النُجد

يا دجلة الخير

نظمت شتاء عام ١٩٦٢ ، وكان الشاعر يمر بأزمة نفسية حادة ، اثر اضطراره الى مغادرة العراق هو وعائلته ، والاقامة في مغتربه في جيكوسلوفاكيا ، وكان ذلك في صيف عام ١٩٦١ .

حيّيتُ سفحكَ عن بُعْدٍ فحيِّيني

يا دجلةَ الخيرِ ، يا أمَّ البساتينِ

حييتُ سفحكِ ظمآناً ألوذُ به

لوذَ الحمائمِ بين الماءِ والطينِ

يا دجلةَ الخيرِ يا نبعاً أُفارقُه

على الكراهةِ بين الحينِ والحينِ

انّي وردتُ عيونَ الماءِ صافيةً

نبعاً فنبعاً فما كانت لترويني

وأنتَ يا قارَباً تلوي الرياحُ به

ليَّ النسائمِ أطرافَ الأفانينِ

وددتُ ذاكَ الشراعَ الرخْصَ لو كَفَني

يُحاكُ منه غَداةَ البينُ يَطويني (١)

---

(١) الرخص : اللين والناعم . والافانين جمع لجمع فنن أما جمعه فافنان وهي الاغصان .

ومعنى القطعة حتى البيت :

تهزني فاجاريها فتدفعني كالريح تعجل في دفع الطواحين

ان الشاعر – وقد أضرت به الغربة واشتد به الحنين الى العراق –

يا دجلةَ الخيرِ : قد هانت مطامحُنا

حتى لأدنى طِماحٍ غيرُ مضمون

أتطمنين مَقيلاً لي سَواسِيةً

بين الحشائشِ أو بين الرياحين ؟

خُلْواً مِنْ الهمِّ الاهمَّ خافقةٍ

بين الجوانحِ أعنيها وتَعنيني

تَهزُني فأُجاريها فتدفعُني

كالريح تُعجِلُ في دفع الطواحين

* * *

يجد مجرد العودة الى وطنه أشد وأغلى مطمح يطمح اليه ، وان هذا المطمح نفسه غير مضمون ، وهو لذلك يتمنى أن يكفل له مقيل بين الحشائش على ضفاف « دجلة » ان لم يتيسر له مقيل بين الرياحين عليها .

كما يتمنى أن يكون ذلك خلوا من كل هم وشاغل من هموم الدنيا وشواغلها ، سوى شاغل واحد لا يقدر أن يتخلص منه ، وكأنما هو جزء خليص من نفسه ، هو هذه الاحاسيس التي تعتمل بين جانبيه وتخفق فى جوانحه فهي بذلك تعنيه قدر ما هو يعنيها .

وهذه الهواجس ، والاحاسيس ، والعواطف ـ وهي صلب الكيان الشعري ـ لا تبرح تهزه هزا لا يقدر معه الا أن يجاريها ، والا أن يندفع معها ، تماما كما تعجل الرياح فى دفع الطواحين الهوائية .

يا دجلةَ الخيرِ : يا أطيافَ ساحرةٍ
يا خمرَ خابيةٍ في ظلِّ عُرْجونِ[٢]

يا سكتةَ الموتِ ، يا إعصارَ زوبعةٍ
يا خنجرَ الغدرِ ، يا أغصانَ زيتونِ

يا أمَّ بغداد ، من ظَرَفٍ ، ومن غَنَجٍ
مشى التبغدُدُ حتى في الدهاقينِ[٣]

يا أمَّ تلك التي من ألفِ ليلتِها
للآنَ يعبقُ عطرٌ في التلاحينِ

(٢) « الخابية » : وعاء من الفخار يعتق فيه الشراب • و « العرجون » كزنبور عذق النحل اذا يبس واعوج •

(٣) « التبغدد » وبابه من « تفعل » ؛ تكلف عادات أهل بغداد ، وأخلاقهم، وطراز معائشهم ، وطرق الحياة ، والتعامل ، والتخاطب • وقد انتشر « التبغدد » في معظم أرجاء العالم أبان العصور العباسية الاولى ، وفي أيام رفعة العالم الاسلامي والعربي وعظمته ، وامتداد نفوذه وسلطانه ، أخذا بالظرف واللطف البغدادي ـ عاصمة الدنيا الاولى آنذاك ـ وتعاطيا لأساليبها ، وأزيائها ، وتأنقها •

و « الدهاقين » جمع دهقان بالكسر وبالضم : رؤساء القرى والمدن المتنفذون وهي فارسية معربة ، والاسم فيها « دهقنة » ، والتفعيل « التدهقن » •

يا مُستَجِمَّ «النوآسيّ» الذي لبَستْ
به الحضارةُ ثوباً وشيَ «هارون»(٤)

الغاسلِ الهمَّ في ثغرٍ ، وفي حَبَبٍ
والملبسِ العقلَ أزياءَ المجانين

والساحبِ الزِّقَّ يأباه ويكرهُه
والمُنْفقِ اليومَ يُفدى بالثلاثين(٥)

والراهنِ السابريَّ الخزَّ في قدحٍ
والملهِمِ الفنَّ من لهوٍ أفانين(٦)

---

(٤) النواسي : هو أبو نؤاس شاعر العراق الاول في بواكير العهد العباسي الزاهر على عهد هارون الرشيد وولديه الامين والمأمون والى ذلك الاشارة فى بقية البيت .

(٥) الشطر الاول من البيت اشارة الى قول ابي نؤاس من قصيدة له :

قدأسحب«الزق»يأباني وأكرهه   حتى له فى أديم الارض اخدود

والشطر الثاني الى قوله من قصيدة اخرى :

نزلنا على أن المقام ثلاثة   فطابت لنا حتى اقمنا بها «شهرا»

(٦) فى هذا البيت اشارة الى قوله من قصيدة له وقد رهن ثيابه الثمينة كلها ومن جملتها خلع خلفاء العباسيين عليه :

وبعت قميصا سابريا وجبة   وبعت رداءً معلم الطرفين
ثلاثين دينارا جيادا ذخرتها   فافنيتها حتى شربت بدين

والمُسْمِع الدهرَ، والدنيا، وساكنَها

قرْعَ النواقيسِ في عيدِ الشعانين(٧)

* * *

يا دجلة الخير : ما يُغليكِ من حنَقٍ

يُغلي فؤادي، وما يُشجيكِ يشجيني(٨)

---

(٧) عيد الشعانين : من أعياد النصارى المشهورة . ولأبي نؤاس فيه ، وفي الاديرة بوجه أعم ، أشعار حلوة ، واشارات رقيقة .

(٨) في هذه القطعة حتى البيت :

والصبر ما انفك مرداة لمحترب ومستميت ، ومنجاة لمسكين

يناجي الشاعر « دجلة الخير » ويطارحها ، ويستثيرها أيضا فهو يقول لها : انه يعلم ويلم بكل ما يغليها ، ويحزنها ويفجرها . ان سياط البغي والبطش بالناس تنقع وترطب في مياهها الطاهرة ، وخيول العدوان والبطش تلغ ـ وكأنها الكلاب العاوية ـ فيها ، لتغير على القرى والمدن الآمنة .

وانه يدري بكل ما تطفح به مساربها ، ومجاريها من بؤس وألم ، وتمزق . وانه ليكاد يحس حتى ما تتفجر عنه أنغامها السمر ـ اى أنغام مياهها السمر ـ وكأنها أنات المحزونين من أبناء العراق المنتشرين على ضفافها . أو ـ على وجه ثان ـ ما تتفجر به من من نغم حزين تألما ومشاركة لاحزان هؤلاء .

وانها ـ وبالرغم من كر الدهور واختلاف العصور ، وتبدل الانظمة، فانها ـ دجلة ـ تبتلي بحكم السلاطين المستبدين وتهزأ بهم وبحكمهم أيضا . وان أرواح الفراعين الطغاة ، ما زالت ترفرف على سماء الشرق العربي كله بعامة ، وكأنها تتفلت من توابيتها ونواويسها .

ما إنْ تزالُ سِياطُ البغي ناقعــةً
في مائك الطُهْرِ بين الحينِ والحيـن

وانها تهزأ وتسخر من التناقض والتباين الصارخ فيما ينشر على ضفافها من خصب الجنات ، والحقول ، والمزارع ، ومن بؤس الملايين الكادحين المأجورين فيها لحساب المستغلين ٠

وفى الابيات الستة الاخيرة من القطعة يرسم الشاعر صورة اخرى جديدة لطبقة منافقة ، منتهزة ، جبانـة فى العـراق ٠ وان « دجلة الخير » تهزأ بها فى جملة ما تهزأ به من صور ، ووقائع ، وكيانات ٠ فهم عتقاء يوم المعارك والملاحم ، أى أنهم ممن يؤسرون لجبنهم ثـم يعتقون أمنا من مغبتهم ، وركونا الى ضعفهـم وعجزهـم ٠ وانهـم الضارعون المستكينون للصـدف ، وللظروف ، وللاقدار ، وكانهـم « ذو النون » النبي اذ تلقفه وهو يسبح فى البحر حوت ضخم فابتلعه فظل فى جوفه أعواماً طويلة يدعو الله فى السماء لخلاصه ٠ وانهم ـ هؤلاء المرائون المغالطون ـ وهم يرون الواقع المر الأسود بأمهات عيونهم ومع هذا فانهـم يفزعون منـه الى الحدوس والتأويـلات ، والتبريرات ، خوفاً من مواجهته ، وانهم يفضلون ـ اذ هم يدعون التضحيات ـ أن تجدع انوفهم ، ولا « تجدع الازمات ، والشدائد شيئا من أموالهم وأملاكهم فزعا من الفقر وحرصا على الترف والبذخ، وانهم يلجأون الى الاستكانة فى ذروة المحن مفلسفين ذلك بادعـاء ضرورة الصبر ، والتأني ، والتعقل ، وكل هذه حبال موهونة ، ركيكة فى عرف النضال الثوري ٠

ويزيد الشاعر فى توضيح ركاكة الصبر المدعي بقوله : انـه شيء يلائم المساكين لجبنهم ، ونفاقهم وريائهم ، ذلك لأنه مدعاة سلامـة لهم ، بينا هو بغيض منفور لدى المناضلين الشجعان والمستميتين حتى لكانه مرداة وهلاك لهم ٠

وَوالِغاتٌ خُيولُ البَغْيِ مُصْبِحَةً
على القُرى آمِناتٍ والدَّهاقينِ

يا دجلة الخير : أدري بالذي طفحت
به مجاريك من فوقٍ الى دُونِ

أدري على أيِّ قيثارٍ قد انفجرت
أنغامُكِ السُّمرُ عن أنّاتِ محزونِ

أدري بأنكِ منْ الفٍ مضتْ هَدَراً
للآنَ تَهْزينَ من حُكم السلاطينِ

تَهزين أنْ لم تزلْ في الشرق شاردةً
من النواويسِ أرواحُ الفراعينِ

تهزينَ من خِصْبِ جنّاتٍ مُنشَّرةٍ
على الضفافِ ، ومن بؤس الملايين

تهزين من عُتقاءٍ يوم ملحمةٍ
أضفوا دروعَ مَطاعيمٍ مَطاعينِ

الضارعينَ لأقْدارٍ تحلُّ بهم
كما تلوَّى ببطن الحوتِ ذُو النونِ

يرون سُـودَ الرزايا في حقيقتهـــا

ويفـزعــون الى حَــدسٍ وتخمـين

والخائفـينَ اجتداعَ الفقرِ مـا لَـهـمُ

والمُفضلِينَ عليـه جَـدْعَ عرنـين

واللائذيـنَ بدعـوى الصبر مجبنـةً

مُستَعصمينَ بحبلٍ منه مَوهــون

والصبرُ ما انفكَّ مرداةً لمُحترِبٍ

ومستميت ، ومنجـاةً لمسكـين

* * *

يا دجلةَ الخير : والدنيـا مُفارقـةٌ

وأيُّ شرٍّ بخـيرٍ غـيرُ مقـرون(٩)

---

(٩) في هذه القطعة بأبياتها الخمسة توضيح لفلسفة الخير والشر وتلازمهما . فلا شر الا ومعه خير ، ولا خير مأمون من شر ، حتى طهر الملائك نفسه مقارنا برجس الشياطين ليبدو وكأنه نتيجة منطقية له .

ويتمثل الشاعر في معرض أوضاع الوطن العراقي بالذات تمازج الخير والشر أيضا ، فيقول ان ردود الفعل المتوقعة لما فيها من تدن وشرور ، وظلم ، وألم ، واغتصاب ، واضطهاد ، وما عداها من شرور ، ستكون خيرا عن ضير ، وحسنا عن قبح ، وفجرا عن ضلالة ،

وأيُّ خيرٍ بلا شرٍّ يُلقّحُه

طهرُ الملائكِ مِنْ رجس الشياطين

يا دجلة الخير: كم مِنْ كنزِ موهبةٍ

لديك في « القمقم » المسحورِ مخزون

لعلَّ تلك العفاريتَ التي احتُجِزَتْ

مُحمَّلاتٌ على أكتاف « دلفين »

لعلَّ يوماً عصوفاً جارفاً عَرِماً

آتٍ فترضيك عقباه وترضيني

* * *

وان هناك من المواهب المكبوتة ، والقابليات المتحفزة ، والتفجرات المتوقعة ، وكأنها ما تنطوي عليه « القماقم » المسحورة فى قعر البحار والشطوط • وفى « دجلة الخير » نفسها ، ما يصح ان يكون ــ وهو خير ــ وليد تلك الشرور الطاغية ، قدر ما انه عاصف بها ، مدمر لها ، طائح بأركانها •

وان هذه المواهب العاصفة ، التى هي عفاريت مسحورة فى «قماقم» مدخورة ، ستقذف بها موجات الثورات ، والانتفاضات ،كما تقذف « الدلافين » فى عرض البحار بالغارقين ، والضائعين فى أمواجها الى شواطىء السلامة و«الدلفين» حيوان بحري ضخم" تنسج حوله الاساطير فى قدرته الفائقة من جهة ، وفى حبه الخير والنجدة من جهة اخرى •

يا دجلةَ الخيرِ : انَّ الشعْرَ هدهدةٌ

للسمع ما بين ترخيمٍ وتنوين[١٠]

عفواً يُردَّدُ في رِفْهٍ وفي عللٍ ..

لحنَ الحياة رخيّاً غيرَ ملحون

يا دجلةَ الخير: كانَ الشعرُ مُذْ رسمتْ

كفُّ الطبيعةِ لوحاً ، سِفرَ تكوين

مزمارُ « داودَ » أقوى من نبوّته

فحوىً ، وأبلغُ منها في التضامين

يا دجلةَ الخير : لم نُصحب لمسكنةٍ

لكن لنلمسَ أوجاعَ المساكين[١١]

---

(١٠) الهدهدة مناغاة الطفل لينام ، وهي أيضا ترجيع الطائر لهديله وغنائه ، والترخيم ـ وهو من رخامة الصوت ـ والتنوين وهو تقريب الحركة على الحرف الاخير من الكلمة الى « النون » ـ من المصطلحات في النحو والصرف العربيين ، ومن ملطفات « الكلمة » فيه ·

العفو خيار الشيء ، وأطيبه ، واصفاه · والرفة والرفيه ـ من الرفاهة والرفاهية ـ في شرب الماء أخذك اياه على مهل وهون · ومثله « العلل » وهو من التعلل والتمهل ·

(١١) اصحب تابع وطاوع · والقطعة حتى البيت :

دين لزام ، ومحسود بنعمته — من راح منهم خليصا غير مديون

هذي الخلائقُ أسفارٌ مجسَّدةٌ
المُلهمون عليها كالعناوين

تصوير لروعة الشعر اذ يستكمل عناصره الاصيلة من السماحة ، والاشراق ، حتى ليشبه الهدهدة فى نغمه ، والترخيم والتنوين فى مخارج حروفه ، وصفاء ديباجته ، ولطف ايقاعه ، وعفوية الاداء فيه .
وتبيين انه منذ الازل ، ومنذ أن رسمت كف الطبيعة أول لوحة من الواحها بمثابة سفر تكوين تفتتح به الحياة ، وتتعاطف فيه الكائنات .

وان مزمار النبي داود - ذو المزامير - كان دليلا خالدا ، وعنوانا ابديا على تبريز الهامه ، والتعريف بنبوته ، حتى لهو اقوى من كل مظاهرها ، فى فحوى ما يؤديه ويلهمه ، وأبلغ منها فى مضمون ما ينطوي عليه .

ويخرج الشاعر من ذلك الى التلميح : بأن الشعراء الموهوبين « الاصيلين » تجسيد أصيل لما يعتمل فى صدورهم من خلجات وأحاسيس وفى نفوسهم من تجاوب مع الحياة ومن تعاطف على الخير، وانهم اذ يبدون وكانهم هينون لينون ، فليس مرد ذلك الى ضعف أو مسكنة وانما هو من تأثرهم بأوجاع المساكين المظلومين ، ومن تلمسهم أوجاعهم .

والا فهم اذ يحسن تصنيفهم بمثابة العناوين على كل الخلائق اذ هي بمثابة الاسفار والمؤلفات مجسدة تمشي على قدم ، وان هؤلاء الشعراء الملهمين لتشع فى ضمائرهم - عند حلك الخطوب - أضواء الحروف الخيرة وكانها سراج ينير درب البائسين ، ويبدد الظلام عن أطرافهم .

وان ذلك ليس منة منهم على الآخرين ولكنه « دين لزام » فى أعناقهم ، والسعيد منهم من قضى نحبه وهو براء فى ذمته ، خليص من دينه هذا .

اذا دجا الخطبُ شعَّت في ضمائرهم
أضـواء حرفٍ بليل البؤس مرهـون
دَيـنٌ لِـزامٌ ، ومحسـودٌ بنعمتـه
من راح منهم خَليصاً غـيرَ مديون

* * *

يـا دجلـة الخير : ما أبقيتُ جازيـةً
لم أقضِ عندى منها دَيْنَ مديـون(١٢)
ما كنتُ في مَشْهدٍ يعَنيك متَّهماً
خِباً ، ومـا كنتُ في غيب بظِنِّـين
وكان جرْحك الهامي مُشاركةً
وكـان يأخذُ من جرحي ويعطيني

---

(١٢) فى هذه القطعة حتى البيت :

وحمليه بحيث الثلج يغمرني دفء «الكوانين» أو عطر «التشارين»

استمرار للقطعة السابقة فى معرض مناجاة الشاعر لدجلة الخـير وتاكيده انه كان وفيا لها ، برآ بها سواء ذلك فى مشهد منها ، أو فى مغيب عنها . وانه كان يتعاطى واياها جرحيهمـا مشـاركـة ومقاسمة ، وان جرحها كان الهاما له ، وانه كان يمد هذا الجرح بمثله فكانت تتقبله منه ، لتهبه بدلا منه باعثا على القول ، وحافزا ملهما للتفجر من جديد .

وكان ساحلُكِ من ساحي اذا نزلت

به الشدائد ، أقريه ويَقريني

حتى الضفادعُ في سفحيكِ سَاريةً

عاطيتُها فاتناتٍ حبٍّ مفتون(١٣)

غازلتُهنّ خليعاتٍ وانْ لبست

من الطحالب مزهوَّ الفساتين(١٤)

(١٣و١٤) وهذان البيتان اشارة وتلميح الى القطعة الشعرية من قصيدته « المقصورة » الشهيرة التى يصف فيها مرح الضفادع فى شواطىء دجلة متغزلا بها ، معجبا بالاعيبها • ونحن نورد هذه القطعة امتاعا للقراء ، واتماماً للفائدة :

سلام على جاعلات النقيق
على الشاطئين بريد الهوى

لعنتن من صبية لا تشيخ
ومن شيخة دهرها تصطبى

تقافز كالجن بين الصخور
وتندس تحت مهيل النقا

حلفت بمن راءكن الحياة
سمحاء أبدع ما ترتأى

والبسكن جمال الغدير
من صاف منكن او من شتا

لانتن من واهبات البيان
جمالا ومن محييات اللغى

على انها لغة ثرة
عواطفكن بها تمترى

لقد عابكن بما لا يعاب
فدم بخلق جميل زرى

بسمح ينادم ركب الخلود
ويحسن للخاطبين القرى

يدل على الماء من ضله
ويرفع وحشة ليل طخا

كأن بعينيك ياقوتتين
صاغهما جوهرىٌ جلا

ولو لم يخبر بريق النبوغ
بعينك عن مثل سفع الذكا

لنم الجحوظ على شاعر
بعيد الخيال عنيف الرؤى

يا دجلة الخير : هلاّ بعض عارفةٍ
تُسدي اليَّ على بُعدٍ فتجزيني

يا دجلة الخير : منّيني بعاطفة
وألهميني سلواناً يُسليني

يا دجلةَ الخيرِ : خلّي الموجَ مُرتفقاً
طيفاً يمرُّ وانِ بعضَ الأحايين

وحمّليه بحيثُ الثلجُ يغمرني
دفءَ «الكوانين» ، أوعطرَ «التشارين»

* * *

يا دجلةَ الخير : يا من ظلَّ طائفُها
عن كل ما جلّت الأحلامُ يُلهيني (١٥)

---

(١٥) فى هذه القطعة وصف قوى حاد للاطياف المرعبة التى كانت تضغط على السيد الجواهري فى نومه فى السنة الاولى من تغربه عن العراق وكانها الكوابيس • فهو فى الصورة الموحشة الاولى منها : يستيقظ مرعوبا من طيف كان يتحرق فيه باتون ، ولشدة تركز هذا الكابوس وتمكنه فانه لا يصدق ـ وهو يقظان ـ انه نجا من هذا الاتون حتى انه ليجس أطرافه بكلتا يديه تأكدا من انها لم تحترق •

وفى الصورة الثانية : فانه يستريح ـ يقظانا ـ الى كوب من ماء

لو تعلمين بأطيافي ووحشتها
ووددتِ مثلي لو أنَّ النومَ يجفوني
أجسُ يقظانَ أطرافي أُعالجها
مما تحرَّقت في نومي بأتُّون
وأستريح الى كوبٍ يُطمِّنُني
أن ليس ما فيه مِن ماءٍ بغِسلين
وألمس الجُدُرَ الدكناءَ تخبرني
أنْ لستُ في مهمةٍ بالغِيل مسكون
يا دجلةَ الخير : خلِّيني وما قسمت
لي المقاديرُ من لدغ الثعابين
الطالحاتُ فما يبعثْنَ صالحةً
ولا يُبعثرنِ الاَّ كلَّ مأفون

قراح ، ذلك انه كان فى منامه يشرب من «غسلين» ، وهو الماء الشديد الحرارة ، وفى الاصطلاح الدينى : ما يسيل من جلود الكافرين فى الجحيم لدى العالم الآخر ·

وفى الصورة الثالثة : فهو وقد كان فى منامه يتخبط فى قفر موحش يعج بالاغيال والوحوش يكاد لا يصدق ـ وقد استيقظ ـ انه مستيقظ · فهو يتلمس الجدران الداكنة المحيطة به فى ظلام الليل تأكدا من انه حي يقظان ·

والراهنـاتُ بجسـمي يَنْتَبِشن بـه
نبشَ الهـوامِ ضريحـاً كلَّ مدفـون

* * *

واهـاً لنفسيَ من جمعِ النقيضِ بهـا
نقيضَـه جمْـعَ تحـريكٍ وتسكـين(١٦)
جنبـاً الى جنـب الآمٍ أُقطِّفُهـــا
قَطْفَ الجياع جنى اللّذّات يزهوني

---

(١٦) الحرف الاخير فى الكلمة العربية اما أن يكون محركا ، أو أن يكون ساكنا . اما أن يجمع الاثنين فى آن واحد فمن المستحيل . ولكن الشاعر فى هذه القطعة يتحدث عن جمع نفسه النقائض ، فهو فى الوقت الذى يكون منهمكا فيه بتجميع الآلام وقطفها كما يقطف الجياع الثمر من على الشجر فانه يبزها بجني اللذة وثمرها .

وهو الى ذلك يركب الخطر والهول في أشد أوقاته أمنا . ذلك ان حبه الحياة يحمله على المجازفات والمغامرات وكأنما هـو بذلك يغرية على الموت . وهو يشبه هذه الاخطار بالغول الـذى يركبـه و « يتسنّمه » كيفما اتفق سواء رمى به الى الهوى ، جمع « هوة » أم انزله على « الواحات » .

وفى الابيات الثلاثة الاخيرة يقول : ليست البطولات أساطير أمجاد ، ولكنها خلاصة تماس بالاحداث ، وتمارس بالظروف ، وامعان فى هذه وتلك ، وتمرن عليها . وان المرء لا يولد لا جبانا ولا شجاعا . وانما يمر بالتجارب والعبر فيخرج منها بعصارة هى كل قوته على منازلة الايام .

وأركبُ الهولَ في ريعانِ مأمنةٍ
حبُّ الحياةِ بحبِّ الموتِ يغريني
غَوْلاً تسنّمتُ لم أسألْ أكارعَه
الى الهوى ، أمْ على الواحات ترميني
وما البطولاتُ إعجازٌ وإنْ قنعت
نفسُ الجبانِ عن العلياء بالهون
وانّما هي صفوٌ منْ مُمارَسَةٍ
للطارئات ، وإمعانٍ ، وتمرين
لا يُولَدُ المرءُ لا هرّاً ولا سُبُعاً
لكن عصارة تجريبٍ وتلقين
يا دجلة الخير : كم معنىً مزجت له
دمي بلحمي في أحلى المواعين[١٧]

(١٧) فى هذه القطعة حتى البيت :

والميتين وقد هيضت ضمائرهم بواخز معهم فى القبر مدفون

يسترسل الشاعر فى وصفه المعاناة الشعرية التى تمخض بهـا بين الفترة والفترة ، فيقول : انه يمزج المعاني التي تعرض له فى القصيدة بدمه ولحمه ـ أى انها تصبح قطعة من كيانه ـ ثم يحاول

أَلفيتَه فَرْطَ ما ألوى اللّواةُ بــه
يشكو الأمرَّين من عَسْفٍ ومن هُون

صبها فى أحلى القوالب ، والمواعين ، جمع « ماعون » الآنية التى يفرغ فيها الطعام .

وفى البيت الثانى يشكو مما يعبث الكثيرون من دعاة الشعر والشاعرية بالمعاني والالفاظ ،ومما يلوون ـ أي يميلون ويزيفون ـ بها وان الشعر يشكو من ذلك الامرين العسف والجور ، ثم المهانة والتدني .

واجره الشوك ، أى جره عليه ، والضمير هنا عائد على الشعر والفاعل « الفاظ » ومرصفة مرتبة مصفوفة والضمير فى « اجرها » فى عجز البيت عائد الى « الفاظ » والمعنى ان ذلك النوع من الشعر المتكلف ـ السابق ـ يغدو وكانه مسحول سحلا على وخز الاشواك ، فالفاظه لا تنهض بمعانيه ، وقوافيه لا تنهض بهما معا . فهو لذلك مكلف مصنوع بالعنت والاسفاف .

« ليل أخي ذبيان » : نسبة الى النابغة « الذبياني » ، وانما نسب الليل اليه لمطلع قصيدته الشهيرة ، الجميل ، فى آل جفنة ملوك الشام :

كليني لهم يا اميمة ناصب و « ليل » اقاسيه بطيء الكواكب

أى ان الشاعر يسهر ـ وهو يعاني خواطره الشعرية ـ ليلا طويلا ساهرا ، كما تحضن الامهات الرواضع ولائدها ، تارة بالمسايرة والمجاراة ، وتارة بالغضب والثورة .

ـ معنى البيت التالي له انه ـ الشاعر ـ يعكف على هذه الخواطر عكوف الخالق المبتكر الذى يعيد ويصقل فى مخلوقه ليصنع منه مثالا كاملا ، وانه وهو يسهر الليل على هذا التكوين ليحس وكأن

أجرُهُ الشوكَ الفاظٌ مُرَصَّفَةٌ

أجرُها الشوكَ سجعٌ شِبهُ موزون

سهرتُ ليلَ « أخي ذبيان » أحضنه

حضْنَ الرواضعِ بينَ العتِّ واللين

أُعيدُ من خلقه نحتاً وخَضْخَضةً

والنجمُ يعجب من تلك التمارين

حتّى اذا آضَ ريّانَ الصبا غضِراً

مهوى قلوبِ الحسانِ الخرَّدِ العينِ

أُتاح لي سُمَّ حيّاتٍ مُرقَّطةٍ

تدبُّ في حَمأٍ بالحقد مَسْنون

النجم فى السماء يعجب من كثرة هذه التمارين التى يتعاطاها .

ـ وفى الابيات التالية للبيت السابق من القطعة حتى آخرها يعرب الشاعر عن الم العميق وثورته العارمة على حساده الذين شبههم بـ « حيات مرقطة » تعيش فى « حمأ مسنون » وهو الطين القذر النتن ، وبالغربان التى تنهش اللحوم ، وبالعراة الذين يتسترون على عريهم الروحي والادبي بشتمهم الآخرين . ويتمثل عليهم بما تسترت به « حواء » عند خروجها من الجنة بورق التوت ، ويقول عنهم انهم « عائشون » على الهوامش من أهواء حاقدة ، ورغائب خسيسة ، ثم انهم ليموتون عن ضمائر مهيضة ذليلة ، تدفن معهم مليئة بالوخزات .

فهل بحسبِ الليالي من صدى ألمي
أني مَضيفَةُ أنيابِ السراحين
الآكلين بلحمي سُمَّ أغربةٍ
وغُصَّةً في حَلاقين الشواهين
والساترينَ بشتمي عُرْىَ سوأتِهم
كخصف حوّاءَ دوحَ التُوتِ والتين
والعائشين على الأهواءِ مُنزلةً
على بيانٍ بلا هَدي وتبيين
والميِّتينَ وقد هيضت ضمائرهُم
بواخزٍ معهم في القبر مدفون

* * *

صنّاجةَ الأدبِ الغالي، وكم حقَبٍ
بها المواهب سِيمَتْ سَوْمَ مغبون(١٨)

---

(١٨) القطعة استمرار للسابقة وفيها يخاطب الشاعر – من باب التجريد – نفسه ويهون عليها ما تلقاه من جحود الجاحدين ، وحقد الحاقدين ، وحسد الحاسدين ، ويقول لها : انها وهي تنزل « السور اللاعنة » على كل رواسب المجتمع ، وعقده ، ومضاعفاته ، وعلى هياكله

ومَنْزِلَ السوَرَ البتراءَ لاعنَةً

من لم يكن قبلها يوماً بملعون

جوزيتَ عنها بما أنت الصليُّ به

هذا لَعمري عطاءٌ غيرُ ممنون !!

ماذا سوى مثلِ ما لاقيتَ تأمله

شمُّ العرانين من جَدع العرانين

حامي الظعائن لاحمدٌ ولا مِقَة

وقد يكون عزاءً حمدُ مظعون

وأصنامه فى كل المجالات والميادين لجديرة أن تتلقى بصبر وترفع الجزاء الذى يتوقعه الثائرون الاحرار .

بل وانها ليجب عليها أن لا تتوقع الا هذا ، فهو ما ابتلى به على كر الدهور ، الشامخون الصاعدون ـ وكنى عنهم : بـ « شم العرانين » جمع « عرنين » ـ وهو ما صلب واشتد من عظم الانف ـ ويكنى بها عن شدة العزة والانفة .

ـ ويقصد بـ « حامي الظعائن » الطليعة ، والرائد تشبيها له بحماة الظعائن من العرب فى الجاهلية ، وهم الذين يحمون النساء فى هوادجهن والمعنى انه لا يتلقى حمداً على أتعابه الفكرية والادبية ما يتلقاه حامي الظعينة من ظعينته .

الديات جمع « دية » وهو ما كان ـ وما يزال ـ يدفع من مال أو حلال تعويضا عما يلحق بالجرحى أو القتلى أو المتضررين . والابكار هنا النوق الصغار ، والعون الكبار .

لمن ؟ وفيمَ ؟ وعمَّن أنت محتملٌ
ثقلَ الديات من الأبكار والعُون ؟

* * *

ويا زعيماً بأن لم يأته خبرٌ
عمّا يُنشَر من تلك الدواوين (١٩)

---

(١٩) في هذه القطعة حتى البيت :

لابد معجلة كف الخراب به بيت يقوم على هذى الاساطين

وفى القطعة التالية لها حتى البيت :

شلت يداك وخاست ريشة غفلت عن البلابل في رسم السعادين

نقد وتجريح لاساطين « النقد » العربى المزعومين ، والذين يخضعون النقد والتحليل ـ وهما أعلى مراتب الادب ـ الى عوامل خارجة عنه ، غريبة عليه ، فباعث حب أو كره لشخص وآخر تارة ، وباعث تعصب مقيت ذميم ، وباعث اقليمي ، وآخر سياسي ، وباعث جمود فكرى ، وباعث عقد نفسية تارات اخرى ٠

وهناك باعث آخر لا يقل عن تلك تأثيرا ، ان لم يزد عليها ٠ وقد يلتقي معها أيضا ، وهو ما يجده هؤلاء المتصدرون مدارس النقد ومجالسه ، من صعوبة وعناء في تناول الشعر الذى يحتاج أكثر من غيره ـ لمتانته ، وعمقه وبعد الغور من فكرته وموضوعه ـ الى تفرغ ، وتمعن وفرط المام ، وبعد نظر ٠ فهم والامر على هذه الشاكلة يخونون الامانة ، ويتهضمون الرسالة ، ويهينون الفكر ، فى تخطيهم الشعراء الاصيلين ، وفى تجاهلهم اياهم ، وفي طمسهم آثارهم الشاخصة ، وهم يزدادون افتضاحا فيما يضمرون ويعلنون ، عندما يفرطون فى

لك العمى ومتى احتجّت بأن قعدت
عن الموازين أربابُ الموازين

تناول الدرجات النازلة من الشعر والشعراء بالبحث ، وبالنقد ، وبالتحليل ، وبالتنويه أيضا فكأنهم نسب متنازله يفتضح أمر بعدها عن المراتب المتصاعدة بقدر انحدارهم عن سلالم الشعر والشعراء الاولين ٠

وهذه الطبقة تجرم ـ بالاضافة الى كل تجرماتها ـ الى الاجيال الناشئة فى المجتمعات العربية فيما تشوش عليهم من تضييع المقاييس وترجيح الموازين ، وفيما تطبع على أذهان الكثيرين من الشباب العربي البرىء من طابع التجهيل ، وميسم التغفيل ، وفيما توجههم الوجهة الظالمة ، وتركز فى نفوسهم الانحراف الادبي والفكرى ، وتدفعهم بدوافع الكفر والعقوق ٠

وفى الحقبة الاخيرة من هذا العصر ـ والى ذلك يشير الشاعر فى مطلع هذه القطعة ـ كثر تساؤل المتسائلين من طلائع الفكر العربي الخلاق ورواد الشعر الاصيل عن هذه الطبقة من ادعياء مدرسة النقد من ذوى الشهرة الخاطفة ، وعن مواقفها غير الامينة فيما تؤلف ، وتنشر، وتذيع٠ وتوجه بعض المتسائلين هؤلاء الى هذا الناقد منهم أو ذاك عن هذه البادرة فكان جواب البعض منهم أسخف من فعله وأكثر تفاهة وهو انه ـ أو انهم ـ لم يطلعوا على هذا الديوان أو ذاك من شعر هذا الشاعر أو ذاك ٠ وهم يريدون بذلك ما تعودوه من شعراء ناشئين أو مبتدئين ـ أو شعراء أعلى من هؤلاء من طلاب الشهرة وعشاق الضجيج ـ وهو أن يتلقوا منهم دواوينهم مرسلة بالبريد ، مهداة اليهم وهم فى صالوناتهم ، فما لم يصل اليهم عن هذا الطريق الهين المريح فلا يدخل فى نطاق مهامهم حتى وان كان ذلك الديوان ، أو ذياك ، لمن طبقت شهرتهم الآفاق فكأنهم ـ كما يخادعون ليسوا بمسؤولين أن يراجعوا ، ولكن أن يراجعوا ، ولا أن يسعوا ، ولكن

بل قد مشت لك كالاصباح عابقةً
وأنت تحذرها حذرَ الطواعين

كفرتُ بالعلم صِفْرَ القلب تحمله
للبيع في السوق أشباهُ البراذين

أن يسعى اليهم ولا أن يكتبوا أو يراسلوا ، ولكن أن يكاتبوا ويراسلوا ·

لقد حمل العبقرى الخالد « الخطيب التبريزى » جرابه على كتفه ماشيا طيلة أربعين ليلة حتى ورد على « أبى العلاء المعرى » ليستمع اليه ، ويدون عنه ، ويشرح ديوان شعره ، وبعد الف وخمسين يعتذر أساطين النقد العربي المدعون بأنهم لم يتسلموا هذا الديوان أو ذاك وهم متكئون على الوسائد الوثيرة ، فلذلك هم معفوون ·

فى هذا المورد من القطعتين المتلازمتين يستعرض الشاعركل ذلك ، ويرد عليه ، ويحمل المجتمعات الفكرية والادبية وزر هذه الطبقة · ويوجز مردات مواقفهم بارجاعها الى موت الضمائر · واندثار الذمم · وهو يشبه ميادين النقد الخائن ، والسفساف ، هذا بالملاحم غير المتكافئة ، والتى يجهز بها النقاد المزعومون بما لهم من أسلحة فتاكة من القاب ، وكنى ، وصحف منشرة ، ودعايات رائجة على زيفها ، على عبقرى وآخر ، وخنذيذ وخنذيذ ، ومجلى وسباق ، ومن هؤلاء الضحايا من يصمد لكل ذلك ــ وهو النادر ــ ومنهم من يعالج النزع الاخير ، ومنهم من يموت قبل أوانه ·

وهو يشبه هذا النفر الناقد الحاقد ، بالرسام الذى يتعمد أن لا تمر ريشته على بلبل غريد ترسمه كرها لها ، وان تتخطاه الى قرد من « السعادين » ·

كانت عباقرةُ الدنيا وقادتُها
تأتي المورّق في أقصى الدكاكين

تلمُّ ما قد عسى أن فات شارده
عنها ، ولو كان في غُيَّابة الصين

لهفي على أمَّةٍ غاض الضميرُ بها
من مدّعي العلمِ ، والآدابِ ، والدين

موتى الضمائر تُعطي الميتَ دمعتها
وتستعينُ على حيٍّ بسكّين

لابُدَّ معجِلةٌ كفٌّ الخراب به
بيتٌ يقوم على هذي الأساطين

* * *

جُبْ أربعَ النقد، واسأل عن ملاحمها
فهل ترى من نبيغٍ غيرَ مطعون

وقفْ بحيثُ ذوو النزعِ الأخير بها
وزر قبورَ الضحايا والقرابين

تـرَ الفطـاحلَ في قتـلٍ على عمـدٍ

هـمُ الفطاحلُ فى صـوغ التآبـين

مِن ناكرٍ علماً تُهدى الغـواة بـه

حتى كأن لم يكن في الكاف والنون

أو قـارنٍ باسـمه خُبثاً وملأمـةً

مـن ليس يوماً بضِبعيه بمقـرون

تشفيّـاً : إنّ لمـحَ الفكـر منطلقـاً

قـذىً بعـين دعيٍّ الفكـر مأفـون

عادى المعاجمَ وغـدٌ يستهـين بهـا

يُحصـى بهـا « أبجدياتٍ » ويعدوني

شُلّتَ يداك وخاست ريشـةٌ غفلت

عـن البـلابـل في رسـم السعـادين

* * *

يـا دجلةَ الخير : ردّتني صنيعتهـا

خوالجٌ هُنّ من صنعي وتـكـويني(٢٠)

---

(٢٠) معنى البيت : ان الشاعر يحس نفسه صنيعة لاحاسيس وخلجات ،

انِ المصـائبَ طوعـاً أو كراهيـةً

أعـدنَ نحتي ، كمـا أبدعْنَ تلويني(٢١)

أرينني ان عنـدي مـن شـوافعهـا

اذا تبـاهى زكـيٌ مـا يـزكّيـني(٢٢)

وجبَ شتى مقاييسٍ أخـذت بهـا

مقيـاسُ صبرٍ عـلى ضرٍ وتوطـين(٢٣)

ونبضات فكرية كان يتوهم انها كلها من صنعه وتكوينه ، أى انه فى الحقيقة كان مسخرا لها فى ابتعاثها من مراقدهـا ، نازلا عـلى حكمها وارادتها فى الانبعاث ، متأثرا بها ، متفاعلا واياها بعد ذلك .

(٢١) معناه ان المصائب بما يثرنه من تجاريب ، ومن خبر وعبر تعيد من « نحت » المرء وتحسن من « تلوينه » ومن تكوينه .

(٢٢) هذا البيت تخريج عن السابق ومعناه : ان تلك المصائب كانت خير شفيع ، وأحسن مزك له يوم يتبارى المشفعون ، ويتسابق المزكون .

(٢٣) معنى البيت وتاليه : ان الشاعر يجد مقياس الصبر والصمود على الازمـات والمحن فى الطليعـة من كل مقـاييس الرجـولة وتكوين الشخصية .

حتى انه ـ نتيجة منطقية لذلك ليعد معيار التفاضل و « المباهاة » بين الناس ـ وبخاصة بينه وبين غيره ـ هو مدى قدرته هـو عـلى معاناة خصائص البؤس والحرمان والانتفاع بعواقبها ، ومدى قدرة الآخرين على معاناة « النعمة » والبطر وتحمل أوزارها .

وراح فضلُ الذي يبغي مباهلتي

نعمى تعنّيه ، من بؤسى تعنيني

* * *

يا دجلةَ الخيرِ : شكوى أمْرها عجب

إنّ الذي جئت أشكو منه يشكوني(٢٤)

ماذا صنعتُ بنفسي قد أُحقت بها

ما لم يُحقه بـ «روما» عسفُ «نيرون»

ألزمتها الجدَّ حيث الناسُ هازلةٌ

والهزلَ في موقفٍ بالجدّ مقرون

وسمتُها الخسفَ أعدى ما تكون له

وأمنع الخسفَ حتى من يعاديني

---

(٢٤) في هذه القطعة حتى البيت :

ما اضيع الماس مصنوعا ومنطبعا حتى لدى أهل تمييز وتثمين

يستعرض الشاعر نفسه بشيء غير قليل من الصراحة ، وينقدها ، ويحملها هي تبعات ما الزمت به نفسها ، من تصورات خاطئة للحياة ، ومن تشدد في اعطاء المفاهيم ، والمقاييس ، والمعايير الحياتية ، أكثر مما تتطلبه من قيود وحدود ، وانه كان في ذلك وفي غيره بمثابة « نيرون » الطاغي ، حتى لكأن نفسه وما أحاق بها كانت « روما » المحترقة .

ورحتُ أظمي واسقي من دمي زُمراً

راحت تُسقّي أخا لؤمٍ وتُظمِيني

وقلتُ بالزهدِ أدرى أنّه عنَتٌ

لا الزهدُ دأبي، ولا الامساكُ مِن ديني

خَرطَ القتاد أمنّيها وقد خُلقتْ

كيما تنامَ على وردٍ ونسرينِ

حراجةٌ لو يُرى حمدٌ يرافقها

هانتْ وقد يُدَّرى خطبٌ بتهوينِ

لكنْ رأيتُ سِماتِ الخيرِ ضائعةٍ

في الشرِّ كاللثغ بين السينِ والشينِ

ما أضيعَ الماسَ مصنوعاً ومنطبعاً

حتى لدى أهل تمييزٍ وتثمينِ

* * *

يا دجلةَ الخير : هل أبصرتِ بارقةً

القت بلمحٍ على شطّيكِ مظنونِ ؟(٢٥)

---

(٢٥) معنى البيت وما بعده هو تلميح الى الغموض والشك والحيرة التي

تُلكمْ هي العمرُ ومضٌ من سَنى عدمٍ
ينصبُ في عَدَمٍ في الغيبِ مكنونِ

تحيط بفلسفة الموت » والعدم » والشاعر يشبه العمر الذى ينبعث من مجهول ، وينتهي الى مجهول بالبارق الذى يلمح التماحا خاطفا على شطآن دجلة لينطفىء فى لججها وكأنه ومض من ومضات الشك يغوص فى لجة الغيب ٠

وفى البيتين الآخرين : امعان فى الارتياب بالحقائق المجردة بحيث ان الشاعر يتساءل ــ مرتابا ــ عما اذا كان فيما وراء انجلاء الشكوك ، والريب ، حقيقة تلمع خالصة دون مزاج من التلميحات والتخمينات ؟

ام ان هذه الشكوك حتى اذ هى تبدو وكأنها قد انجلت وتوضحت ما تزال خليطا من أوهام وتخيلات وتخمينات على حد سواء مع اللون الغامق ــ كالالوان « الجون » بضم الجيم جمع جون بفتحها وهو **اللون الاخضر ، الذى يميل** لاشتداد خضرته الى السواد والى السمرة الغامقة ، والى ما بين هذا وذاك من الوان ٠

والابيات التالية حتى البيت :

لم يوهب الفكر قانونا يحصنه — من الظنون ، ومن سخف القوانين

تصوير وتلوين لشتى الهواجس ، والظنون التى تتراوح بين الشك واليقين فيما تتمخض به نفس الشاعر من محاولة لمعرفة ما اذا كان قوام الحياة الدنيا هو الرغد ، أم القناعة والكفاف ، أم العزوف عن كل ملذاتها ٠

وهو يستشهد على ذلك بأنه يشتهي ــ حينا ــ ان تكون له كنوز قارون ، ويكدر عليه مشتهاه هذا عدم كفاية هذه الكنوز كلها لكي يكون المرء سعيدا بها ٠

ثم يعدل عن ذلك الى الاستخفاف بها وبالمال والبسطة فى العيش فيذكره ذلك ان : « الخصاصة » والفقر فيما يجرانه على الانسان من

يا دجلةَ الخير : هل في الشكُ منجلياً

حقيقـــةٌ دون تلميـــحٍ وتخمـينٍ ؟

أم خـولطت فيـه أوهـــامٌ وأخيلـةٌ

كمـــا تخـالطت الألوانُ في الجُــون

أكـــاد أخرج من جلدي اذا اضطربت

هـواجسٌ بـــينٍ إيقـــان وتظنـين

أقــول لو كنزُ قــارونٍ وقــد علمتْ

كفَاى أن ليس يُجدي كنزُ قــارون

تعاسة الحياة ، وذل الاحتياج تشبه « السرطان » القتال الذى يتاكل جسد الانسان وروحه معا .

ثم يشيح عن ذلك الى القول بالاخذ بالكفاف وبالقناعة فيصدمه « رحب الحياة » وانفساح مجالات التصرف ، وتوسع آفاق التذوق ، والترفه ، والراحة فيها ، بينا يكون « الكفاف » فى هذه المنطلقات الرحبة أشبه شىء بأقوات « المساجين » فى سوحهم الضيقـة ، ودروبهم المسدودة ، وهويطلب تخلصا من كل هذه الظنون والهواجس المربكة للمرء فى حياته : أن يتوسع الفكر البشري الى درجة تتخلص معه وتتقلص كل « القوانين » الراهنـة فى هـذا العالم ، والمليئـة بالسخف وبالظلم ، والرزاحة هى نفسها تحت أعباء الشكوك ، وأثقال الظنون وكوابسها .

أقول : ما كنزُ قارون ، فيدمغني
أنَّ الخَصاصةَ من بعض السراطين
أقول : ليت كفافاً والكفافُ به
رحبُ الحياةِ ، وأقواتُ المساجين
أقولُهنَّ وعندي علمُ ذي ثقةٍ
ان ليس يؤخذ علمٌ بالأظانين
وإنَّما هي نفسٌ همُّ صاحبها
أنْ لا تُصدِّقَ مدحوضَ البراهين
لم يوهب الفكرُ قانوناً يُحصنه
من الظنون ، ومن سُخف القوانين

* * *

يا نازحَ الدارِ ناغِ العودَ ثانيةً
وجِسَّ أوتاره بالرفق واللين(٢٦)

---

(٢٦) فى هذه الابيات الثلاثة من القطعة يرقق الشاعر من « وتر الشعر » ومن « انغامه » ، راجيا من ذلك أن تستل هذه « النجوى » المتطاحنة «الحزازات» من صدور تغلي بها الحزازات عن غير ما سبب ، وبدونما طائل ، وان تخفف هذه « المناغاة » السمحة من « حمى » نفوس حاقدة « متعنترة » ، مطبوعة على القسوة ، والغلظة .
و « صفين » و « حطين » من المعارك الاسلامية الشهيرة .

لعلَّ نجوى تُداوي حرَّ أفئدة
فيها الحزازاتُ تَغلي كالبراكين
وعل عقبى مناغاةٍ مُخففةً
حمّى عناترِ « صفينٍ » و « حطينٍ »
ويا صدى ذكرياتٍ يستثرن دمي
بهزةٍ جمّةِ الألوان تعروني
أشكو المرارةَ من إعناتِ جامحةٍ
منها إلى سمحةٍ برٍّ فتشكيني
مثلَ الضرائرِ هذي لا تطاوعني
فأستريح الى هذى فتُؤويني

* * *

ويا مَقيلاً على غربيِّها أبداً
ذكراه تعطف من عودي وتلويني (٢٧)

---

(٢٧) المقصود بـ « المقيل على غربي دجلة » البيت الذى كان يقيم فيه السيد « الجواهري » سنين عدة فى جانب الكرخ ، وهو يطل اطلالة رائعة على دجلة في أوسع دوائرها ، ومن أجمل مواقعها ، وفى هذا العش الجميل » قضى الشاعر أجمل وأهنأ فترة مرت عليه من حياته ،

عشُ الأهازيجِ من سجعي يُردِّدُها
سجعُ الحَمامِ وترجيعُ الطواحين

جمعا لشمل ، وكفافا فى العيش ، ووفرة فى الانتاج هى فى جملتها عيون من أشعاره .

ففيه أخرج خلال الاعوام الخمسة حتى عام ١٩٤٧ الى النور : قصيدة « ستالينغراد » :

نفضت الروح وهزتها لواء وكسته، واكتست منه الدماء

وقصيدة « دجلة فى الخريف » :

بكر «الخريف» فراح يوعده ان سوف يزبده ، ويرعده

وقصيدة « المقصورة » :

برغم الآباء ، ورغم العلى ورغم كرام انوف الملا

وقصيدة « جمال الدين الافغاني » :

هويت لنصرة الحق السهادا فلولا الموت لم تطق الرقادا

وقصيدة « عدنا وقودا » :

ولى شباب فهل يعود ولاح شيب فما يريد

وقصيدة « سواستبول » :

يا « سواستبول » سلام لا ينل مجدك ذام

وملحمة « عالم الغد » الشهيرة والطويلة :

عالم الغد يا رهين ضباب ودخان من نفثه وعذاب

وقصيدة « أبو التمن » ومنها المقطع المعروف ومطلعه :

قسماً بيومك والفرات الجاري والثورة الحمراء والثوار

الى جملة قصائد ومقطوعات كثيرة غيرها .

والشاعر فى هذه القطعة حتى نهاية القصيدة يتفجر دما ، ولحنا ،

وسِدْرَةٌ نبعُها خضدٌ ، وساقيــةٌ
وباسقُ النخــل معقــوفُ العراجــين

وحرفا وهو يجتر الذكريات العذبة ، والاحاسيس الحلوة فى دارته هذه : فهي « مجمع الشمل » من صحب عزيز عليه فجع به ويريـد بذاك أخاه « الشهيد جعفر » فى وثبة كانون ١٩٤٨ ، ووالدته التى توفيت فى السنة الاولى من تغربه عن العراق ، ثم من صحب ابتلى به ، وابتلى بهم وهم أهله وبنوه وذووه العائشون معه حتى الآن ٠
وهو معبر لنسائم «الاصباح» تصفقه الغصون الندية ـ كما تصفق الخمرة اذ تمزج ـ وتسقيها اياه ٠ وهى « رؤى أصل » بضمتين جمع أصيل أواخر الغروب وأوائل العشـى ٠ تراوحـه ، وهي « سنى » الشفق الحلو يغاديه ٠
وهي « مداحة » الرمل الممتدة على شواطىء دجلة مرمى بصره ، حيث تلهو بها « اصيبية » تخوض فيها فتلهيه وتؤنسه ٠
وهى ضجة « العصافير المفزوعة » ، فى أكنانها وأعشاشها قبيل الليل اذ تنطلق متزاحمة متصاخبة الى مآويها ٠ واذ تؤلف فى ضجيجهـا منطقا جميلا انيسا ما هو بالفصحى فيفهم ، ولا هو من لطف وقعه ، ورخامة رجعه، بالمبهم الملحون ٠

وفى الشطر الثاني والاخير من هذه القطعة وأوله :

ويا ضجيعي كرى أعمى يلفهما لف الحبيبين فى مطمورة دون

يتصاعد صارخا ـ بحزن ولوعة ـ نغم القصيدة وهو يتفجر عن أحر ما انهت اليه تلكم الذكريات ، وأوجع ما صارت اليه ، بانتهاء حياة أعز مخلوقين عليه :
وهما الآن « ضجيعا كرى أعمى يلفهما » معا ورأس الى رأس ، وروحا الى روح فى «مطمورة دون» هوقبرهما الحزين فىمقبرة «آل الجواهري» فى النجف وهو يشتد فى حزنه الى غاية مـا يتصوره الحزين اذ يقول :

ومُسْتدقٌ صخورٍ من مآربها
رؤى تَظلُّ على الحالين تشجيني

من أنمل الغيد في حسنٍ تُتممه
فإنْ تعرَّتْ فمن أنياب تنين

يا مجمع الشملِ من صحبٍ فُجعتُ به
وآخرٍ رحت أبلوه ويبلوني

ويا نسائم اصباحٍ تصفّق لي
ندى الغصون بليلاتٍ وتسقيني

ويا رؤى آصلٍ نشوى تراوحني
ويا سنى شفقٍ حلوٍ يُغاديني

ان طيفي هذين الحبيبين لا ينفك أبدا يطيف به ، وانه وقد تراءى له الطيف « ماشيا » اليه على مهل ليحييه ، وليجدد عهدا به ، فانه ـ السيد الجواهري ـ ليترفع اجلالا لهذا الطيف ، واعتزازا به من أن يفتح عينيه ليراه ، اذ ان فى ذلك اضاعة بعض الشيء للرؤية الكاملة ، وانما « يطبق جفنا على جفن » ليراه على حقيقته فى ذهنه ، فى قلبه ، فى صفاء الرؤية وهي تجمع اليها هذا وذاك ، حتى لكان بريق الموت الخاطف المهيب المخيف يعيشه ، فيلجأ الى أن يراه على تلك الشاكلة من الرؤيا .

ويا مُداحةَ رملٍ في مَخاضتها
راحت أُصيبيةٌ تلهو فتُلهيني
وضجَّةٌ من عصافيرٍ بها فزعٌ
على أكنَّتها بين الأفانين
ومنطقٌ ليس بالفصحى فتفهمه
يوماً وما هو من حسٍ بملحون
لا ضيرَ كلُّ أخي عشٍ مفارقُه
وأيُّ عشٍّ من البازي بمأمون

* * *

ويا ضجيعَي كرىً أعمى يلفُّهما
لفَّ الجنين في مطمورةٍ دُون
حسبي وحسبُكما من فرقةٍ وجوىً
بلاعج ضَرِمٍ كالجمر يَكويني
لم أعد أبواب ستين ، وأحسبني
همًا وقفتُ على أبواب تسعين
يا صاحبيَ اذا أبصرت طيفكما
يمشي إليَّ على مَهلٍ يحييني

أطبقت جفناً على جفن لأبصره

حتى كأنَّ بريقَ الموت يُعشيني

إنّي شممت ثرىً عفناً يضمكما

وفي لُهاثي منه عِطرُ « دارين »

بنوةً وإخاءً حلف ذي ولَعٍ

بتربةٍ في الغد الداني تغطيني

لقد وددتُ وأسرابُ المنى خُدعٌ

لو تسلمان وأنَّ الموت يطويني

قد متُّ سبعينَ موتاً بعد يومكما

يا ذلَّ من يشتري موتاً بسبعين

لم أقوَ صبراً على شجوٍ يرمّضني

حرّانَ في قفص الأضلاع مسجون

تصعدتْ آهِ من تلقاء فطرتها

وأردفت آهةٌ أخرى بآمين

ودبَّ في القلب من تاموره ضرمٌ

ما انفكَّ يُثلج صدري حين يُصليني

براغ ...

أو

حوار ...

نظمها الشاعر صيف عام ١٩٦٨ •• قبيل عودته من منفـاه في جيكوسلوفاكيا ، يحيي فيها « براغ » ، ويشيد بجمالها ، وسمو مجتمعها ، وبما تركته في نفسه من انطباعات حلوة •• وذكريات جميلة •

أطلتِ الشوط من عُمُري

أطـال الله مـن عُمْـرِكِ

ولا بـلّغـتُ بـالشـرّ

ولا بالسـوء مـن خبَـرِكِ

حسوتُ الخمرَ من نَهَرِكِ

وذقت الحلوَ مـن ثمرك

وغنّتني صوادحُكِ النشاوى

مـن نـدى سحـرك

ولم يبرح عليّ الظلُّ .. بعد

الظـلِّ مـن شجـرك

كـلا حاليكِ عِشتُهمـا

قـريرَ العين في سُرُرِكِ

ففي الامسـاء من خفـرك

وفي الاصبـاح من خـدرك

كـأن تنـابزَ القُبـلات

خفقٌ من صدى سمرك

وأحلاماً مهوَّمةً
غلالاتٌ لمؤتزرك
وأعينُ أنجمٍ حيرى
بها عِوزٌ الى حِورك

* * *

ألا يا مزهر الخلد
تغنّى الدهر في وترك
ويا امثولةَ اللطف
مشتْ دنياً على أثرك
ذكا في تربك العطِر
ودبَّ السحرُ في حجرك
فلو صيغت دُنىً اخرى
لما كانت سوى كِسَرك
ولو أنّ المنى خمرٌ
لكانت سؤرَ معتصرك

ولو صورتِ كان الخلق

والابداع من أطُرك

* * *

وقائلة : لقد غالت

دعاةُ السوء في ضجرك[1]

---

(١) فى هذه القطعة من القصيدة حتى آخرها يجرد الشاعر من نفسه مع نفسه حوارا متواصلا ـ على لسان شخص آخر هو « قائلة » القول المفترضة ، وفى هذا الحوار يصور أدق تصوير نوازع النفس المختلفة لحد ما يقربه من التناقض فيما يبدو للناظر اليها على حدة ، وبسطحية ، وبدون تعمق فى تحليل ، ولا تمعن فى ارجاعها الى اصولها ، فعلى لسان هذا الشخص « المحاور » المفترض يعدد الشاعر ما يأخذه عليه مثل هذا النفر ذي النظرة العابرة من افراط فى الضجر والقلق ، ومن زيادة فى نشدان التكامل ، وفى تطابق الشخصية ، ومن انه يريد أن تتنزل الدنيا ، والناس ، والمجتمعات على الصورة التى يتخيلها هو ، والتى يعيشها بنفسه ، وكذلك فيما يفترضه من الطباع ٠ وان فى سمعه رجات تمنعه من الاستقرار على رأي ناقد وقطعي فيما يسمعه عن الناس ، وعن الاشياء ، وفيما يصدر عن ذلك من أحكام ، وان رجات مثلها فى بصره تمنعه عن تكوين الصورة المنطبعة عليه لهذا الشخص أو غيره ، ولهذا الشيء وما عداه ، وان كل هذا وذلك ناتج عن « الملل » الذى يتحكم به ويستحوذ عليه ٠

ويزيد فى تصوير هذه المآخذ والمطاعن اذ يجري على لسان « القائلة » المحاورة ، ما تبعثه شقة التباين البعيدة بين الافراط فى الركون والدعة ، والتطامن ، وبين المأثور عنه من افراط فى العنف ،

والمجازفة، والمخاطرة ، لحد ان ذلك ينقض هذا، ولحد ان«العين» لتكاد تنبو عنه وهو « يتطامن » لدرجة « الخور » والاستسلام ، اذ هـو يجمع الى ذلك ثورة في الغضب ، وسورة فى التمرد ، حتى لتكاد « النار » تخاف من « شررهما » ٠

واذ يستكمل الشاعر هذه الانطلاقـة من « الحوار » واذ يجرى على لسان المحاور ما هو مأثور عنه من حالات متخالفة ، متباينة يعود ـ وعلى لسانها أيضا ـ ليعرض الحال الراهنة التي تجده عليهـا ـ محاورته ـ فيالوقت الحاضر والتى تتخالف مع كل الحالات المأثورة عنه فى الصورة السابقة من انسجام مع نفسه ، ومع الالوان المنبعثة عنها ٠ وانه رضي البال فى « حله » وفى « سفره » ، وانه وهو فيما يبدو وكأنه سقر من وحشة الغربة « يغني الخلد مرتفقا » ، وانـه وهو فى « وبر » من خشونة العيش يهدي الناس « الخز » الناعم من أشعاره وأغانيه ٠ وانه وهـو على مثل وخز « الابـر » من آلامـه ، يسقيهم الشهد الحلو ، منها ٠

وانه و « ثليج الشيب » فى الشعر يغمر هامته ٠ يبدو فيالصبابة من لواعجه وكأنه فى حرارة الصبا ، وجمرة الشباب ٠

وان شفيف الغيم من كدره ليبدو وكأنه « الطف من سنا الصحو » فيما ينعكس بنعومة ورقة على قوافيه المرحة ٠

وينهي « القائلة » حوارهـا هـذا بتعجبهـا من هـذا التشابـه و « التساوى » فى حجوله وهو فى هذه المرحلة من العمر ومن الغربة، ومن الالم مع أوضاحه وهو فى غرارة شبابه ومرحه وطمانينته ٠

ثم يجيء دور الشاعر نفسه ليجيب على تساؤلات نفسه أيضـا ـ على لسان المحاور المفترض ـ وليقول لها : ان كل ذلك نتيجـة منطقية ، ورياضية ، لتبدل المجتمعات ، ولاختلاف البيئات ، ولاثرها فى تبدل الطبائع ، وانتقال النفوس من حال الى حال ٠

وأطباعَ الورى حُلَلاً

موشّاةً على قدرك

ملولُ النفس .. في سمعكَ

رجّاتٌ .. وفي بصرك

وأنّكَ في التطامُنِ تنقض

المأثورَ عن خطرك

تخاف « النارُ » من شررك

وتنبو العينُ عن خوِرك

وتُعيي الفكر مرقاتك

ان قيست بمُنحدَرك

جرى مثلٌ بمُصطبرك

وآخرُ سار في بطرك

وهذا أنت منسجمٌ

مع الألوان في صُوَرِك

وينعطف اليها ليقول :

هلمي خالطي بشري تفري انت من بشرك

رضيُّ البـــال في حِلّـــكَ

حلوُ السجــعِ في سَفَرِكْ

تُغنّى الخلـــد مُـرتفقــاً

وأنــت تُخـــالُ في سَقَرِكْ

وتهدى « الخزَّ » مـن وبركْ

وتسقى الشـهـد من أبْرِكْ

أحـرٌ مـن الصبـا وهجـاً

ثليجُ الشيب في شعَـرِكْ

والطفُ مـن سنى صفـوٍ

شفيفُ الغيـمِ من كـدركْ

فسبحـان الــذي سـوّى

حجـولك ملتقى غــرركْ

* * *

أقـول لهـــا · وهـل وطَري

فديتِ - ينـال من وطركْ ؟

أوِردكِ كـان عن صدري ؟

اوردي كـان عن صـدَركِ ؟

انفعـك كـان من ضـرري ؟

أنفعـي كـان من ضـررك ؟

أأمـَّا كنتِ مـن نظـري ؟

أأمـَّا كنتُ من نظـرك ؟

ألـم تـكُ صـورة أُخـرى

مـواسـطـةٌ بمقتـدرك ؟

هبيـكِ البحـر تيـارُكِ

مشـدودٌ بمُنحسـرِك

أليـس لـه « كواسجُـه » ؟

اليـس بـه سـوى دررك ؟

فـديتـكِ انني فيمـا

أُبـدّل غـير منتظـرك

مشيتُ على خُطى عِبرَي

فظلَّـى أنـتِ في عِبـرك

أذنبـــي أنّ مُختَبـرى

هـدانـي غـير مُختَبـرك ؟

وأنّـــي عشـــتُ مجتَمعـاً

أمنـتُ بـه .. على حـذرك ؟

لقـــد نقّلتُ مـــن نظـــري

فجـــاء بغـــير مـا نظـــرك

هلمّـــي خالطـي بَشَـري

تفـرّي أنتِ مـن بشـرك !!

بريد الغربة ...

نظمت عام ١٩٦٥ .. وقد ارسلهـا الشاعر من « براغ » الى عائلته ببغداد ، وقد كانت عائدة اليها من جيكوسلوفاكيا لأول مرة ، بعـد غربة طالت أعواماً .

لقد أسرى بيَ الأجلُ وطول مسيرةٍ مَللُ
وطول مسيرةٍ من دون غاي مطمعٌ خَجِلُ
على اني - لأن ينُهي غدٌ طولَ السرى - وجِلُ
تماهل خشيةً ونىً وعُقبى مهلهِ عجَلُ
وقُطّعَ خطوُهُ جنفاً كما يتقاصرُ الحَجَلُ
أشاع اليأسَ بى عُمُرٌ وكنتُ وكلُّهُ أملُ
وعُمرُ المرءِ فضلُ منىً بها ما شَقَ يُحتَمَلُ
فان ولّت فلا ثقةٌ ولا حول ولا قِبَلُ

* * *

أقول وربما قولٍ يُدَلُ به ويُبتَهِلُ
ألا هل ترجِعُ الاحلامُ ما كحُلت به المُقَلُ
وهل ينجابُ عن عيني ليلٌ مطبقٌ أزَلُ
كأن نجومهُ الاحجارُ في الشطرنج تنتقلُ
يلاحق بعضُها بعضاً فما تنفكُ تقتتلُ
ألا هل قاطعٌ يصلُ لما عيّت به الرُسُلُ

* * *

ويا أحبابي الأغلين من قطعوا ومَن وصلوا

ومن هم نُخبةُ اللذّاتِ ... عندي حين تنتخلُ

همُ إذ كلُّ من صافيتُ ... مدخولٌ ومنتحلُ

سلاماً كلُّه قُبَلُ ... كأن صميمها شُعَلُ

وشوقاً من غريبِ الدارِ ... أعيتْ دونه السُّبُلُ

مقيمٍ حيثُ يضطربُ ... المنى والسعيُ والفشلُ

وحيث يُعاركُ البلوى ... فتلويه ويعتدلُ

وحيث أديمهُ يَبَسٌ ... وحيث جنانُه خَضِلُ

وإذ نَضُبَتْ أفاويقُ الصبا فهِباتُها وشَلُ

* * *

سلاماً من أخي دنفٍ ... تناهت عنده العِللُ

وحيدٍ غيرَ ما شَجَنٍ ... بلوحِ الصدرِ يعتملُ

وذكرى مُرّةٍ حليت ... بها أيامهُ الأُولُ

تُعاودُه كفيءِ الظلِّ ... رؤياها وتنتقلُ

وحيدٍ بالذي غنّى ... وساقي يُضربُ المثلُ

وفيما قال من حَسَنٍ ... وسيءٍ يكثرُ الجدلُ

* * *

سلاماً أيُّها الثاوونَ … انّي مُزمِعٌ عَجِلُ
سلاماً أيُّها الخالون … انَّ هواكُمُ شُغُلُ
سلاماً أيُّها الندمانُ … اني شاربٌ ثمِلُ
سلاماً أيُّها الأحبابُ … انَّ محبةٌ أملُ
سلاماً كلُهُ قُبلُ … كأنَّ صميمَها شُعَلُ

٨٩/٥٠٠٠/١٩٦٩